من تراث الغمارى

كمال الإيمان في التداوى بالقرآن



تأليف
عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى

تحقيق
صفوت جوده أحمد

مكتبة القاهرة
لصاحبها على يوسف سليمان
ت/٥٩٠٥٩٠٩
ص ب ٩٤٦ العتبة

من تراث الغمارى

كمال الإيمان
في
التداوى بالقرآن

تأليف

عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى

مكتبة القاهرة
لصاحبها علي يوسف سليمان
ت : ٥٩٠٥٩٠٩ ص . ب ٩٤٦ الأزهر
بالصنادقية ميدان الأزهر الشريف بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع : ١٦٤٨٦ / ٩٧

I.S.B.N. 977 - 5437 - 10 - 9

جميع حقوق الطبع والتحقيق والتعليق والنشر والتوزيع والنقل والترجمة والاقتباس
محفوظة لمكتبة القاهرة

لصاحبها: **على يوسف سليمان وأولاده**

١٢ شارع الصنادقية بالأزهر ت : ٢٥٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٢٥١٤٧٥٨٠

جوال: ٠١٢٢٢٧٥٠٩٤٢

رمز بريدى ١١٥١١ ـ الأزهر ـ القاهرة

tarekali٥٩٩٢@yahoo.com alqahirah٥٥@yahoo.com

جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة الله وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد..

لا شك فى أن القرآن الكريم هو الشفاء التام من جميع الأمراض النفسية والعضوية.

والسنة النبوية المذكرة التفسيرية للقرآن تبين لنا طرق التداوى به.

يقول المولى عز وجل ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه «إن الله لم ينزل داءً إلا أنزل معه الدواء، علمه [illegible]، وجهله من جهله، إلا السام، والسام هو الموت».

روى أن سيدنا إبراهيم عليه السلام سأل ربه فقال: يارب، ممن الدواء؟ قال: منى، قال: فما بال الطبيب؟ قال: رجل أرسل الدواء على يديه».

كما روى أن سيدنا موسى عليه السلام انتابه ألم شديد فى بطنه وهو فى صحراء سيناء فشكى إلى الله وتضرع إليه طالبًا منه الشفاء، فدله الله على عشب معين فى مكان معين بالصحراء فذهب إليه موسى، فأكل منه فشفى لساعته فحمد الله وانصرف، ثم عاوده المرض بعد حين، فذهب من نفسه إلى هذا العشب فأكل منه فازداد مرضه فكلم الله فى هذا، فقال: يا إلهى جل ثناؤك.. لقد أكلت من هذا العشب فى المرة الأولى فشفيت، وأكلت منه فى المرة الثانية فزاد مرضى فما حكمتك يا رب فى هذا، فقال الله سبحانه وتعالى له: يا موسى لقد ذهبت إلى هذا العشب فى المرة الأولى منى فشفيت، ولكنك فى المرة الثانية ذهبت من نفسك فلم تدعنى فازداد مرضك، ألا تعلم يا موسى أن الدنيا كلها سم قاتل وترياقها اسمى.

قال أسامة بن شريك «كنت عند النبى ﷺ، وجاءت الأعراب. فقالوا: يا رسول

الله أنتداوى؟ فقال: نعم يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاء، غير داء واحد، قالوا ما هو؟ قال: الهرم(١).

عن أبى خزامة قال: «قلت يا رسول الله. أرأيت رقى نسترقيها،وداء نتداوى به وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: هى من قدر الله»(٢).

قال الإمام القشيرى رحمه الله: مرض ولدى مرضًا شديداً، حتى أيست من شفائه واشتد الأمر على، فرأيت النبى ﷺ فى منامى، فشكوت له ما بولدى فقال لى: أين أنت من آيات الشفاء؟.. فانتبهت، ففكرت فيها فإذا هى فى ستة مواضع من كتاب الله تعالى فجمعتها فى صحيفة وقرأتها مرات على نية الشفاء، فكان الشفاء بإذن الله تعالى.

وهـذه الآيـات

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ويشف صدور قوم مؤمنين.

٢- وشفاء لما فى الصدور.

٣- فيه شفاء للناس.

٤- وينزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين.

٥- وإذا مرضت فهو يشفين.

٦- قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء.

سئل لقمان الحكيم.. أى الخصال خير للإنسان؟ قال الدين.. قيل فإذا كانت اثنتين؟ قال: الدين والمال..

قيل. فإذا كانت ثلاثة؟ قال: الدين والمال والحياء.. قيل. فإذا كانت أربعًا؟ قال: الدين والكمال والحياء وحسن الخلق.. قيل.. فإذا كانت خمسًا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء. قيل فإذا كانت ستًا؟ قال من اجتمعت فيه الخمس خصال فهو تقى ولله ولى..

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والنسائى والترمذى.

(٢) رواه الترمذى فى القدر.

قال ﷺ : من وضع يده على رأسه وقرأ : هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، كانت له شفاء من كل داء.

قال ﷺ : «من كان به مرض فليقرأ الفاتحة على ماء طاهر وآية الكرسى والمعوذتين إحدى وسبعين مرة ويشربه على الريق ثلاثة أيام عفاه الله من كل بلاء».

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من أخذ من ماء طهور وقرأ عليه الفاتحة سبعين مرة والذى نفسى بيده إن جبريل جاءنى وأخبرنى أنه من شرب من ذلك الماء سبعة أيام بالقراءة يرفع عنه كل داء فى جسده ويعافيه منه ويخرجه من عروقه ولحمه وعظمه ومن جميع أعضائه.

مرض الحسين بن على رضى الله عنهما فاغتم رسول الله ﷺ فأوحى الله تعالى إليه أن اقرأ سورة لا فاء فيها – فإن الفاء من الآفات، على إناء فيه ماء – أربعين مرة – وتغسل به يديه ورجليه ورأسه ووجهه وما بطن وما ظهر من بدنه فإن الله تعالى يذهب عنه ما يؤلمه إن شاء الله.

أخبر سيدى محمد السرجانى أن النبى ﷺ أعطاه فى المنام هذه الفائدة «لقد جاءكم رسول من أنفسكم.. إلى آخر السورة، والإخلاص والمعوذتين، وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل.. إلى آخر السورة.

وتكتب : اللهم أنت المحيى وأنت المميت، وأنت الخالق وأنت البارئ وأنت المعافى وأنت الشافى، خلقتنا من ماء مهين وجعلتنا فى قرار مكين إلى قدر معلوم. اللهم إنى أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا وبسيدنا ومولانا محمد رحمتك العظمى، يا من بيده الابتلاء والعافية والشفاء والدواء.. وأسألك بمعجزات نبيك محمد عليه الصلاة والسلام وبركة خليلك إبراهيم عليه السلام، وبحرمة حكيمك موسى عليه السلام اشفنى بشفائك وداونى بدوائك. تكتب فى إناء بزعفران وتمحيه بالماء وتشرب ذلك الماء على الريق ويجعل يديه فيما فضل فى الإناء ويمسح ما أمكن بدنه فإنه يبرأ بإذن الله تعالى.

الإستشفاء بالقرآن الكريم

يقول الإمام جلال الدين السيوطى فى كتابه القيم « الاتقان فى علوم القرآن » فى خواص القرآن :

- عن ابن مسعود « عليكم بالشفائين العسل والقرآن »(١).
- عن على رضى الله عنه « خير الدواء بالقرآن »(٢).
- عن واثلة بن الأسقع أن رجلاً شكا إلى النبى ﷺ وجع حلقه فقال له « عليك بقراءة القرآن »(٣).
- عن أبى سعيد الخدرى قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال إنى اشتكى فقال له « اقرأ القرآن »(٤).
- يقول الله تعالى : وشفاء لما فى الصدور.
- عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « فاتحة الكتاب شفاء من كل شيء إلا السام . والسام الموت »(٥).
- **عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان.**
- **عن فاطمة : أن رسول الله ﷺ لما دنا ولادتها أمر أم سلمة وزينب بنت جحش أن يأتيا فيقرآ عندها آية الكرسى « إن ربكم الله » الآية، ويعوذاها بالمعوذتين.**

عن ليث قال بلغنى أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر تقرأ على إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور – الآية التى فى سورة يونس « فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر » إلى قوله – المجرمون – وقوله « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون » إلخ

---

(١) أخرجه ابن ماجه .

(٢) أخرجه ابن ماجه .

(٣) أخرجه البيهقى .

(٤) أخرجه ابن مردويه .

(٥) أخرجه الخلعى فى فوائده.

أربع آيات، وقوله «إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى»(١).

عن ابن عباس مرفوعًا: أمان من السرقة. قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن.. إلى آخر السورة(٢).

وقال ﷺ: من وضع يده على رأسه وقرأ هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، كانت له شفاء من كل داء.

وأخبر سيدى محمد السرجانى أن النبى ﷺ أعطاه فى المنام هذه الفائدة «لقد جاءكم رسول من أنفسكم.. إلى آخر السورة، والإخلاص والمعوذتين وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، لو أنزلنا هذا القرآن على جبل.. إلى آخر السورة وتكتب: اللهم أنت المحيى، وأنت المميت، وأنت الخالق، وأنت البارئ، وأنت المعافى وأنت الشافى خلقتنا من ماء مهين وجعلتنا فى قرار مكين إلى قدر معلوم. اللهم إنى أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا وبسيدنا ومولانا محمد رحمتك العظمى يا من بيده الابتلاء والعافية والشفاء والدواء.. وأسألك بمعجزات نبيك محمد عليه الصلاة والسلام وبركة خليلك إبراهيم عليه السلام، وبحرمه كليمك موسى عليه السلام اشفنى بشفائك وداونى بدوائك. تكتب فى إناء بزعفران وتمحيه بالماء وتشرب ذلك الماء على الريق ويجعل يديه فيما فضل فى الإناء ويمسح ما أمكن بدنه فإنه يبرأ بإذن الله تعالى.

(١) أخرجه ابن أبى حاتم.

(٢) أخرجه الصابونى فى المائتين.

الاستشفاء بدعاء القرآن

دعاء القرآن الكريم، هو الدعاء المستجاب لأنه نطق به القرآن العظيم.

قال رسول الله ﷺ خير الدواء القرآن.

قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

[البقرة: ٢٥٥].

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

[البقرة: ٢٥٠].

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

[البقرة: ٢٨٥].

﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا

لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

[آل عمران: ٨].

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٦].

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

[آل عمران: ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

[البقرة: ٢٥٠].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[الأعراف: ٢٣].

﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٧].

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩].

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

﴿ رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠].

﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

[يونس: ٨٥، ٨٦].

﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٧].

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ١٠].

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [طه: ٢٥، ٢٨].

﴿ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾

[المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٥].

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

﴿ اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٦].

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٧ – ٩].

﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٢].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٥].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠].

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾

[الحشر : ٢٢].

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر : ٢٣].

﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٤].

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الممتحنة : ٤ ، ٥].

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن : ١٣].

﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم : ٨].

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق : ١ – ٥].

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس : ١ – ٦].

يقول البعض إن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى، وأن تدبيرها سابق فى علمه الأزلى وهى محققة لا محالة سواء دعونا أم لم ندع فما فائدة الدعاء إذًا ؟.

نقول اعلم أن القضاء الإلهى قد يكون مبرما وقد يكون معلقًا والعبد يجهل أمره

والدعاء سبب عادى مغن لرد البلاء أو تحقيقه فإذا وفق له العبد وكان رد البلاء أو تخفيفه معلقا رد عنه أو خفف وذلك لتعلق المسببات بالأسباب المناسبة لها كما بشرت بذلك السنة الإلهية.

يقول الإمام الغزالى:

إن الدعاء سبب رد البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهام والماء سبب لخروج النبات من الأرض، وكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، كذلك الدعاء والبلاء يتعالجان ويتدافعان إلى يوم القيامة، كما جاء فى حديث الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيتعالجان إلى يوم القيامة.

وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله الا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى: ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١].

وأن لا تسق الأرض بعد بث البذور فيقال إن سبق القضاء بالإنبات نبت بل ربط الأسباب بالمسببات وهو القضاء الأول وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدرج من القدر الإلهى وللباقى قدر الخير قدر له السبب والذى قدر الشر قدر له معه سبباً وهو الدعاء وربط المسببات بالأسباب العادية أمر مقدور، وكما أن السبب العادى غير مؤثر ولا موجب فقد يوجد ولا يوجد المسبب لانتفاء شرط أو وجود مانع، كذلك الدعاء قد يوجد ولا يوجد رد البلاء أو لانتفاء شرط من شروط إجابة الدعاء أو لوجود مانع كالقضاء المبرم بالبلاء. اهـ.

وقال الإمام الشوكانى:

إن الدعاء من قدر الله فقد يقضى على عبده بشىء قضاء مقيداً بأن لا يدعوه فإذا دعاه اندفع اهـ. اى وقد يقضى عليه شىء قضاء مبرما فلا يندفع بدعاء ولا غيره، هذا ما يتعلق بالدعاء عامة وبنفعه وبأنه عباده انفرادا واجتماعا وأن للاجتماع فيه فضلاً عظيماً وفيه خير كثير(١).

---

(١) انظر فضل الدعاء وآدابه وشروطه وأوقاته فى كتابنا « هدية الإخوان فى فضائل ودعاء شهر شعبان » من منشورات الكليات الأزهرية ط ١٩٩٥م. تاليف صفوت جودة أحمد.

هــذا الكتــاب

الكتاب الذى بين أيدينا هو الكتاب السادس من كتب فضيلة شيخنا الغمارى -رحمه الله- التى قمنا بتحقيقها والتعليق عليها وهذا الكتاب يحتاجه عصرنا الحاضر لأننا أصبحنا فى أيام كثر فيها الجدل والسحر والشعوذة ونسينا أن الأمر كله بيد الله عز وجل.

وكثيراً ما وجهت إلىَّ أسئلة حول السحر وكتابة الأعمال وإجابتى فى كل مرة كانت ثابتة وهى أن من أتى عارفا أو كاهناً وصدق به فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

ولقد قمنا بتحقيق هذا الكتاب بقدر الجهد وقدمنا له مقدمة وافية حيث اشتملت على الاستشفاء بالقرآن وبالسنة النبوية المطهرة الصحيحة.

وأعقبنا الكتاب بموضوعى السحر والحسد بدراسة مستوفاه من البحث والتنقيب فى أمهات الكتب فجزى الله شيخنا عما قدم للإسلام والمسلمين وأن يجعل هذا العمل فى تعداد حسناته يوم العرض على الله، وأن يوفقنا دائمًا إلى تحقيق وتنقيب التراث الإسلامى الأصيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٢-٤٣] .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الاحزاب: ٧٢-٧٣] .

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩] .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]

حقوق الطبع والنشر والنقل والتوزيع خاصة

بمكتبة القاهرة

الرئيسي: ١٢ ش الصنادقية بالأزهر الشريف

الفرع: ١٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

ت: ٥٩٠٥٩٠٩

ص.ب. ٩٤٦ العتبة - القاهرة - جمهورية مصر العربية

من تراث الغمارى

كمال الإيمان في التداوي بالقرآن

تأليف

عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى

تحقيق

صفوت جوده أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق الطبع والتحقيق والتعليق والنشر والتوزيع والنقل والترجمة والاقتباس
محفوظة لمكتبة القاهرة

لصاحبها: **علي يوسف سليمان وأولاده**

١٢ شارع الصنادقية بالأزهر ت : ٢٥٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٢٥١٤٧٥٨٠

جوال: ٠١٢٢٢٧٥٠٩٤٢

رمز بريدى ١١٥١١ ـ الأزهر ـ القاهرة

tarekali٥٩٩٢@yahoo.com **alqahirah٥٥@yahoo.com**

جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب وذكر سبب تأليفه

اللهم لك الحمد تم نورك فهديت، ولك الحمد عظم حلمك فغفرت، ولك الحمد بسطت يديك فاعطيت ، أنزلت كتابك العظيم هدى ورحمة. وجعلته شفاء ونعمة، يذهب عن الأبدان الأدواء والأوصاب، كما يزيل عن القلوب الجهل والشرك والارتياب.

ونصلي ونسلم على رسولك وصفيك ، وخليلك ونجيك، سيدنا محمد الذى عرف قدر القرآن، واتخذه دواء يعالج به نفسه وغيره مما ينزل من الامراض، وحض على التعوذ به مما ينوب من الحوادث والأعراض، ونسألك الرضى عن آله الكرام، وصحابته الاعلام، وبعد :

فقد سمعت في بعض الايام، حديثا مذاعا بالراديو لبعض الأزهريين ، عرض فيه لموضوع التداوى بالقرآن الكريم، فانكره أشد الإنكار وجعله من قبيل الدجل والخرافات، فعجبت لجرأة هذا الازهرى المبتدع.. وقلت : كيف يصح أن يتهجم على إنكار شيء ثبت عن رسول الله ﷺ قولا وعملا وإقرارا؟ كما ثبت عن الصحابة والتابعين، وأجمع الأئمة على جوازه.. بل القرآن نفسه يدل عليه، ويرشد إليه، لمن استعمل فكره وامعن نظره، لكن سوابق هذا المبتدع في إنكار السنة ومحاربتها، والحض على إهمالها في تفسير القرآن الذى وكل الله إلى رسوله تبيينه للناس، دلتنى على أنه مستهتر فيما يقول لا يستند إلى ما تواطأ عليه العلماء من الادلة إلا بقدر ما يوافق رأيه وهواه، فهو يرجع -فيما يعرض له من تفسير بعض الآيات- إلى رأيه المجرد.. وإذا صادفه حديث صحيح عن النبى ﷺ يخالف ما قال، رده بأسلوب خبيث يدل على الدهاء والمكر، ذلك بأن يقول: جاء فى «الروايات» كذا، أو تقول «الروايات» كذا، ليوهم بذلك انه ما خالف إلا روايات لا قيمة لها فى نظر الفاحص المدقق، والواقع أن ما سماه «روايات» حديث صحيح عن النبى ﷺ أخذ به العلماء والتزموه، بل قد يكون من قبيل المستفيض أو المتواتر، وقد يهمل الحديث فلا يتعرض له إطلاقا كأنه لم يرد فى شيء من كتب السنة أو التفسير من ذلك أنه تكلم فى

بعض أحاديثه بالراديو على تفسير قوله تعالى: ﴿ وإذ قال موسى لفتاه ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ عبداً من عبادنا ﴾(١) فصار يردد فى حديثه ذكر «العبد الصالح» ولم يتعرض إلى تعيينه، مع أن كتب التفسير كلها كبيرها وصغيرها عينت العبد الصالح بأنه الخضر واستندت فى هذا التعيين إلى ما رواه البخارى(٢) ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم من طرق عن ابن عباس عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ فوجد عبداً من عبادنا ﴾ قال: «هو الخضر»، والقصة مفصلة بطولها فى الصحيحين وغيرهما عن النبى ﷺ(٣) فإهماله لتعيين العبد الصالح -مع ما سبق-

---

(١) ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٤ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[الكهف: ٦٠-٦٥].

(٢) روى البخارى ما خلاصته: «أن موسى عليه السلام، قام فى بنى إسرائيل خطيبا فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب عليه ربه، إذ لم يرد العلم إليه تعالى.. فأوحى إليه إن لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، وأمره أن يأخذ حوتا فى مكتل، فحيثما فقد الحوت فهو ثم، ففعل ذلك وسافر مع فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا صخرة فناما فاضطرب الحوت وسقط فى البحر.. فاتخذ سبيله فى البحر سربا، وصار الماء كالطاق عليه وهو يجرى، فلما استيقظ موسى نسى صاحبه أن يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما، فلما كان الغد طلب موسى الغداء ووجد النصب ولم يكن ذلك إلا بعد أن جاوزا المكان الذى أمر الله به فقال فتاه: إنى نسيت الحوت، وذكر ما كان من أمره عند الصخرة، فارتدا على آثارهما قصصا، حتى انتهيا إلى الصخرة فوجدا رجلا مسجى بثوب أبيض، وكان من أمرهما ما سترى من مسألة السفينة والغلام والجدار»[أخرجه البخارى فى العلم: ٤٤ وفى الأنبياء: ٢٧ وفى تفسير سورة ١٨: ٢، ٣ ومسلم فى الفضائل: ١٧٠، والترمذى فى تفسير سورة ١٨: ١ والإمام أحمد فى ٥: ١١٨، ١١٩].

(٣) قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ وهذا هو الخضر عليه السلام، كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ. قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرنى سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: «إن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل. قال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثنا أبى بن كعب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيباً فى بنى إسرائيل فسئل: أى الناس أعلم منك؟ قال موسى: يا رب وكيف لى به؟ قال: تأخذ معك حوتا فتجعله بمكتل وحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ حوتا فجعله بمكتل ثم انطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه =

يحتمل أحد أمرين لا ثالث لهما:

فإما أن يكون لم يقف على شيء من كتب التفسير، وكلها ذكرت اسم الخضر، والحديث الوارد به حتى تفسير الجلالين، أصغر تفسير، وهذا يؤيد ما قدمنا أنه يرجع إلى رأيه المجرد -وإما أن يكون رأى كتب التفسير ورأى فيها اسم الخضر والحديث الوارد به، ومع ذلك أهمله، وهذا يؤيد ما قلنا إنه لا يقبل الحديث إذا خالف هواه ولو كان في أعلى درجات الصحة، لكن في مسلكه هذا اعتراض ضمني كأنه يقول: حيث لم يعين الله اسم العبد الصالح فلا نعينه، ولو عينه رسول الله ﷺ !! وإلا فبربك قل لي: بماذا تعلل هذا المسلك منه؟! وكم له في هذا المضمار من نظير؛ يحارب السنة بأساليب شيطانية تروج على ضعفاء العلم، بسطاء التفكير، فتارة يردها بدعوى أنها ظنية والمقام يتطلب اليقين، وطورا يتذرع إلى ردها بالاحتمالات العشر التي كشفنا النقاب عن دخيلتها في كتابنا «عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام»(١) وحينا يلجأ إلى التفريق بين السنة العملية والقولية(٢) فيأخذ بالأولى ويرد الثانية، أما إذا كان الحديث في شيء من الفضائل والآداب فيذكره مستشهدا به، وربما يخصه بالتعليق والشرح، وإن كان في نهاية الضعف، أو النكارة، عند المحدثين.. فهو لا يلتزم القواعد العلمية في جانب الأخذ، ولا في جانب الترك. وإنما يتبع ما يراه موافقا لروح العصر في نظره، فحيث إن التداوى بالقرآن وما في معناه، لا يعتبر من طرق الطب في هذا الوقت لتقدم العلوم، وتنور الأفكار، وغلبة المادة، فليكن دجلا وخرافات، وإن أرشد إليه القرآن الكريم، وإن فعله النبي ﷺ وأقره، وإن أجمع عليه العلماء.. هذا هو المنهاج الذي يمشي عليه في فتاويه

= فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما.

(١) طبعة مكتبة القاهرة بدون تاريخ ص٥٨.

(٢) السنة العملية: المراد بها الأحكام العملية التي تنظم العلاقة بين العبد وربه وهي المعروفة بالعبادات والتي تنظم علاقة الإنسان بالمخلوقين وهي المعروفة بالمعاملات والأحكام التي تستفاد منها هي ما يسميها العلماء بـ«فقه السنة» والأحاديث التي تروى في هذا القسم تسمى «أحاديث الأحكام».

السنة القولية: كالأمر والنهي الصادرين منه ﷺ مثال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين» رواه أحمد في مسنده وأبوداود والحاكم في المستدرك وقوله ﷺ : «لا تحاسدوا ولا تباغضوا». رواه مسلم.

وبحوثه، وهو منهاج أعوج، يفضى بسالكه حتما إلى مخالفة النصوص، ومصادمة الإجماع، كما فى هذه المسألة التى كتبنا فيها هذا الجزء، وسميناه « كمال الإيمان فى التداوى بالقرآن » وقصدنا التقرب به إلى الله فى بيان الحق الحقيق بالاتباع، فى موضوع يتعلق بكتاب الله وبسنة رسول الله، والله المسئول أن يثبتنا عليه، ويلهمنا رشدنا ويؤيدنا بتوفيق من عنده، إنه جواد كريم.

أبو الفضل

عبدالله محمد الصديق

خادم الحديث الشريف

الأحاديث الدالة
على
التداوى بالقرآن

* قال ابن ماجه فى كتاب الطب من سننه: باب الاستشفاء بالقرآن. حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة بن عبدالرحمن الكندى ثنا على بن ثابت ثنا سعاد بن سليمان عن أبى إسحاق عن الحارث عن على عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الدواء القرآن». قلت: إسناده حسن، وللسجزى في الإبانة والقضاعى فى مسند الشهاب من طريق أبى إسحق عن الحارث عن على عن النبى ﷺ قال: «القرآن هو الدواء». وإسناده حسن كما قال المناوى فى التيسير، وروى ابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالشفاءين العسل والقرآن». قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وسلمه الذهبى[1]، وروى الحاكم أيضاً عن ابن مسعود قال: عليكم بالشفاءين القرآن والعسل، وإسناده صحيح أيضاً، وروى الثعلبى من طريق أحمد بن الحارث الغسانى حدثتنا ساكنة بنت الجعد قالت سمعت رجاء الغنوى يقول: قال رسول الله ﷺ: «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله» إسناده ضعيف.

ما ورد
فى التداوى بفاتحة الكتاب

* أخرج البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: انطلق نفر من أصحاب النبى ﷺ فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلُدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شيء، لاينفعه شيء، فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لُدغ وسعينا له بكل شيء لاينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إنى لأرقى، ولكن والله لقد

(١) وقال الحافظ ابن كثير بعد إذ عزا الحديث لابن ماجه، إسناده جيد.

استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقرأ: ﴿الحمدُ لله رب العالمين﴾ فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشى وما به قلبة، قال: فأوفوهم جُعلهم الذى صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا. فقال الذى رقى: لاتفعلوا حتى نأتى النبى ﷺ فنذكر له الذى كان، فننظر ما يأمرنا؟ فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له، فقال: «وما يدريك أنها رقية؟» ثم قال: «قد أصبتم، اقسموا واضربوا لى معكم سهماً» فضحك النبى ﷺ، هذا لفظ رواية البخارى فى كتاب الإجارة، ورواه فى كتاب فضائل القرآن بقريب مما هنا، وأما مسلم فرواه فى كتاب الطب، ورواه البخارى فى كتاب الطب أيضاً تحت ترجمة (باب الرقى بفاتحة الكتاب)، ورواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسانى وابن أبى حاتم فى العلل، من طرق وبألفاظ وصححه الترمذى، وجاء فى روايته ورواية ابن أبى حاتم أن الراقى هو أبوسعيد نفسه.

* قال البخارى (باب الشروط فى الرقية بفاتحة الكتاب) ثم روى فيه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن نفراً من أصحاب النبى ﷺ مروا بماء فيهم لديغ أو سليم فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راق؟ إن فى الماء رجلاً لديغاً أو سليماً فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً، حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله: أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسول الله ﷺ «إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله»، ورواه البزار من حديث جابر بن عبدالله وزاد فى روايته: فقالوا لهم قد بلغنا أن صاحبكم جاء بالنور والشفاء، قالوا نعم، قالوا: فهل فيكم من راق؟ فقال رجل من الأنصار أنا أرقيه. إلخ. وهذا الرجل من الأنصار هو أبوسعيد الخدرى كما سبق فى رواية الترمذى وابن أبى حاتم. وهذه قصة أخرى.

* أخرج أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى والدارقطنى فى السنن عن خارجة بن الصلت عن عمه أنه أتى النبى ﷺ ثم أقبل راجعاً من عنده فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهله: إنا قد حدثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير، فهل عندك شىء تداويه؟ قال فرقيته بفاتحة الكتاب، ثلاثة أيام كل يوم مرتين، فبرأ فأعطونى مائتى شاة فأتيت النبى ﷺ فأخبرته فقال «خذها فلعمرى من أكل

برقية باطل لقد أكلت برقية حق»(١) إسناده صحيح وصححه ابن حبان والحاكم أيضاً. واسم عم خارجة علاقة بن صحار، بضم الصاد وتخفيف الحاء، التميمى، وقيل فى اسمه غير ذلك وهو صحابى رضى الله عنه.

* أخرج الطبرانى فى الأوسط عن السائب بن يزيد قال عوذنى رسول الله ﷺ بفاتحة الكتاب تفلاً.

* روى الثعلبى من طريق معاوية بن صالح عن أبى سليمان قال: مر أصحاب رسول الله ﷺ فى بعض غزوهم على رجل قد صرع فقرأ بعضهم فى أذنه بأم القرآن فبرأ فقال رسول الله ﷺ: «هى أم القرآن وهى شفاء من كل داء».

* روى سعيد بن منصور والبيهقى عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «فاتحة الكتاب شفاء من السم». وروى أبو الشيخ فى الثواب من طريق آخر عن أبى سعيد وأبى هريرة عن النبى ﷺ مثله.

* روى الدارمى والبيهقى بسند رجاله ثقات عن عبدالملك بن عمير قال: قال رسول الله ﷺ: «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء».

وسيأتى حديث آخر فى التداوى بالفاتحة مع سورة وآيات، بحول الله.

التداوى بالإخلاص والمعوذتين

* أخرج أصحاب السنن عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. ورواه البخارى ولفظه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث فى كفيه بقل هو الله أحد والمعوذتين جميعاً ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده، قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرنى أن أفعل ذلك به، قال يونس: كنت أرى ابن شهاب – يعنى الزهرى – يصنع ذلك إذا أوى إلى فراشه.

---

(١) قسم النبى ﷺ فى هذا الحديث الرقية إلى قسمين: رقية حق، ورقية باطل. فرقية الحق ما كانت بالقرآن أو بما ورد عن النبى ﷺ من قوله أو فعله أو تقريره، ورقية الباطل ما لم تكن كذلك، قال الشوكانى: وعلى الرقية الباطل تحمل الأحاديث الواردة فى النهى عن الرقى، وعلى رقية الحق تحمل الأحاديث الواردة بالإذن بها. أهـ.

* أخرج الإمام مالك والبخارى ومسلم عن عائشة أن النبى ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أنا أقرأ عليه وأمسح عليه بيمينه رجاء بركتها. وفى رواية لمسلم: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذى مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدى والمراد بالمعوذات قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس، نص عليه الحافظ ابن حجر وغيره.

* أخرج الطبرانى عن أبى عبيدة – واسمه عامر، وقيل اسمه كنيته – أن أباه عبدالله بن مسعود رضى الله عنه رأى فى عنق امرأة من أهله سيراً فيه تمائم فمد يده مداً شديداً حتى قطع السير، وقال: لو أن إحداكن تدعو بماء فتنضحه فى رأسها ووجهها ثم تقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم تقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس، نفعها ذلك إن شاء الله.

* أخرج ابن أبى شيبة فى مسنده عن عبدالله بن مسعود قال: بينا رسول الله ﷺ يصلى إذ سجد فلدغته عقرب فى إصبعه، فانصرف رسول الله ﷺ وقال: «لعن الله العقرب ما تدع نبياً ولاغيره» ثم دعا بماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة فى الماء والملح ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حتى سكنت.

التداوى بقل يا أيها الكافرون والمعوذتين

أخرج الطبرنى في المعجم الصغير عن على عليه السلام قال: لدغت النبى ﷺ عقرب وهو يصلى فلما فرغ قال: «لعن الله العقرب لاتدع مصلياً ولاغيره» ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ قل يا أيها الكافرون وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس. قال الحافظ نور الدين الهيثمى فى مجمع الزوائد: إسناده حسن.

التداوى بالإخلاص

أخرج أبويعلى فى الكبير عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال مرضت وكان رسول الله ﷺ يعوذنى، فعوذنى يوماً فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، من شر ما تجد» فلما استقل رسول الله ﷺ قائماً قال «يا عثمان تعوذ بها فما تعوذتم بمثلها».

التعوذ بالإخلاص والمعوذتين

وهو من جنس التداوى

* أخرج البزار فى مسنده عن عبدالله الأسلمى قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى عمرة حتى إذا كنا ببطن واقم استقبلتنا ضبابة فأضلتنا الطريق فلم نشعر حتى طلعنا على ثنية فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك، عدل على كثيب فأناخ عليه ثم قام وقام عليه من شاء الله فمازال يصلى حتى طلع الفجر، فأخذ رسول الله ﷺ برأس ناقته ثم مشى وعبدالله الأسلمى إلى جنبه ما أحد مع رسول الله ﷺ غيره فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره ثم قال: «قل» قلت: ما أقول؟ قال: ﴿قل هو الله أحد﴾ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ حتى فرغت منها فقال رسول الله ﷺ: «هكذا فتعوذ فما تعوذ العباد بمثلهن قط» قال الحافظ الهيثمى: رجاله رجال الصحيح.

* أخرج أبوداود عن عقبة بن عامر قال: بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بأعوذ برب الفلق، وأعوذ برب الناس، ويقول: «يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما» قال: وسمعته يؤمنا بهما فى الصلاة. قلت: هذا حديث صحيح.

* أخرج النسائى عن ابن عابس الجهنى أن النبى ﷺ قال له: «يا ابن عابس ألا أدلك - أو ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟» قال: بلى يا رسول الله قال: «قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، هاتان السورتان».

* أخرج الترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنس فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك. قال الترمذى: حديث حسن. قلت: معنى الحديث كما قال العلماء: أن النبى ﷺ كان يتعوذ من العين والحسد وشر الإنس والجن بتعاويذ من أدعية وأذكار، فلما نزلت المعوذتان صار يتعوذ بهما وترك غيرهما لأنهما يكفيان عن سائر المعوذات.

التداوى بسور وآيات من القرآن

* أخرج ابن ماجه فى السنن عن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن أبيه أبى ليلى قال: كنت جالساً عند النبى ﷺ إذ جاءه أعرابى فقال: إن لى أخاً وجعاً، قال: «ما وجع أخيك؟» قال: به لمم، قال: «اذهب فائتنى به» قال: فذهب فجاء به فأجلسه بين

يديه فسمعته عوذه بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد وآية الكرسى وثلاث آيات من خاتمتها وآية من آل عمران أحسبه قال ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ [آل عمران ١٨] وآية من الأعراف ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ** ﴾ [الأعراف: ٥٤] وآية من المؤمنون ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ** ﴾ [المؤمنون: ١١٧] وآية من الجن ﴿ **وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا** ﴾ [الجن: ٣] وعشر آيات من أول الصافات وثلاث آيات من آخر الحشر وقل هو الله أحد والمعوذتين، فقام الأعرابى قد برأليس به بأس، ورواه أبو يعلى فى المعجم، وأبو نصر السجزى فى الإبانة.

* أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند والحاكم عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال: كنت جالساً عند النبى ﷺ فجاءه أعرابى فقال: يا نبى الله إن لى أخاً به وجع قال: «وما وجعه؟» قال: به لمم - أى مس من الجن - قال: «فائتنى به» قال: فوضعه بين يديه، فعوذه النبى ﷺ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من آخر سورة البقرة وهاتين الآيتين ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة: ١٦٣] وآية الكرسى وآية من آل عمران ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ [آل عمران: ١٨] وآية من الأعراف ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ [الأعراف: ٥٤] وآخر سورة المؤمنون ﴿ **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ** ﴾ [المؤمنون: ١١٦] وآية من سورة الجن ﴿ **وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا** ﴾ [الجن: ٣] وعشر آيات من أول الصافات وثلاث آيات من آخر سورة الحشر وقل هو الله أحد والمعوذتين، فقام الرجل وكأنه لم يشك شيئاً قط، وهذا لفظ رواية الحاكم.

* **وقال ابن أبى الدنيا فى (مكايد الشيطان والهواتف)**: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنى على بن عثمان اللاحقى حدثتنى عبيدة بنت الوليد بن مسلم عن أبيها الوليد أن رجلاً أتى شجرة أو نخلة فسمع فيها حركة فتكلم فلم يجب فقرأ آية الكرسى فنزل إليه شيطان فقال: إن لنا مريضاً فيم نداويه؟ قال: بالذى أنزلتنى به من الشجرة.

التداوى بآخر سورة المؤمنون

* أخرج أبو يعلى وابن أبى حاتم وأبو نعيم وابن مردويه والحكيم الترمذى والخطيب البغدادى من طريق ابن لهيعة عن عبدالله بن هبيرة عن حنش الصنعانى

عن عبدالله بن مسعود أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق، فقال له رسول الله ﷺ : «ما قرأت فى أذنه؟» قال: قرأت ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ﴾ حتى فرغ إلى آخر السورة، فقال رسول الله ﷺ : «لو أن رجلاً موقناً قرأ بها على جبل لزال».

* قال الحافظ الهيثمي: ابن لهيعة فيه ضعف وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح.

* **وقال الحافظ السيوطي في التعقبات**: طريقه على شرط الحسن، ورواه العقيلى فى الضعفاء من طريق سلام بن رزين قاضى أنطاكية عن الأعمش عن شقيق عن ابن مسعود به. وحكم أحمد بوضعه فقلده ابن الجوزى وذكر الحديث فى الموضوعات. لكن الإمام أحمد حكم بوضعه من أجل سلام بن رزين قاضي أنطاكية. وهو غير موجود فى الطريق الذى حسنه الحافظان الهيثمى والسيوطى. على أن فى حكم أحمد بوضع الحديث نظراً ظاهراً لأن سلام بن رزين مجهول، وحديث المجهول لايكون موضوعاً. بل غايته الضعف بحيث إذا ضم إليه طريق آخر مثله كان حسناً لغيره، اما إذا ضم إليه طريق حسن لذاته كما هنا. فإنه يصير من قبيل الصحيح لغيره، كما هو مقرر فى كتب المصطلح.

* إذا تأمل القارىء الكريم تلك الأحاديث التى أوردناها معزوة لرواتها. وضح له أمران. **الأول**: أن التداوى بالقرآن العظيم وارد عن النبى ﷺ – من فعله أو أمره أو تقريره – بطرق تفيد القطع واليقين، بحيث لايسع من وقف عليها – وكان عنده مسكة من علم – أن يتشكك فى ذلك، أو يداخله أدنى احتمال. وكيف يبقى مجال للشك أو الاحتمال فى شيء رواه عن النبى ﷺ اربعة عشر صحابياً هم على وابن مسعود وأبوسعيد الخدرى وابن عباس وجابر بن عبدالله وعلاقة بن صحار عم خارجة بن الصلت والسائب بن يزيد وعائشة وعثمان بن عفان وعبدالله الأسلمى وعقبة بن عامر وابن عابس الجهنى وأبوليلى وابى بن كعب، وفى هؤلاء من الخلفاء الراشدين على وعثمان، ومن كبار فقهاء الصحابة على وابن مسعود وابن عباس وعائشة وأبى، ومن حفاظهم أبوسعيد الخدرى وابن عباس وجابر وعائشة، أضف إلى ذلك أن الطرق تعددت عن بعضهم كأبى سعيد وعائشة وعقبة تعدداً بلغ حد الشهرة والاستفاضة.

الثاني: أحاديث التداوى بالقرآن مخرجة فى كتاب الموطأ للإمام مالك ومسند الإمام أحمد وصحيحى البخارى ومسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن

ماجه وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم وسنن الدارقطنى والبيهقى ومعاجم الطبرانى ومسانيد البزار وأبى يعلى وتفاسير ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن منده وحلية الأولياء لأبى نعيم وتاريخ بغداد للخطيب ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمى وغيرها من كتب السنة التى عن طريقها وصل إلينا الهدى النبوى، وبواسطتها نقلت إلينا شرائع الدين المحمدى، فمن يستطيع بعد هذا كله أن ينكر التداوى بالقرآن الكريم ويجعله من قبيل الدجل والخرافات إلا أن يكون غريقاً فى الجهل عريقاً فى الابتداع والانحراف عن السنة النبوية المطهرة؟!!

* **والتداوى بالقرآن ثابت أيضاً بالكتاب الكريم، قال الله تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾** [الإسراء: ٨٢]. قال القرطبى: ومن لابتداء الغاية، ويصح أن تكون لبيان الجنس كأنه قال: وننزل ما فيه شفاء من القرآن، وفى الخبر «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله» وأنكر بعض المتأولين أن تكون من للتبعيض، لأنه يحفظ من أن يلزمه أن بعضه لاشفاء فيه، قال ابن عطية: وليس يلزمه هذا، بل يصح أن تكون للتبعيض بحسب أن إنزاله إنما هو مبعض فكأنه قال: وننزل من القرآن شيئاً شفاء، ما فيه كله شفاء اهـ.

* وقال أيضاً فى تفسير هذه الآية ما نصه: المسألة الثانية - اختلف العلماء فى كونه شفاء على قولين. أحدهما أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى. الثانى - شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحوه. وقد روى الأئمة - واللفظ للدارقطنى - عن أبى سعيد الخدرى قال: بعثنا النبى ﷺ فى سرية ثلاثين راكباً قال: فنزلنا على قوم من العرب فسألناهم أن يضيفونا، فأبوا، قال: فلدغ سيد الحى، فأتونا فقالوا: فيكم أحد يرقى من العقرب؟ فى رواية ابن قتة إن الملك يموت، قال: قلت أنا: نعم، ولكن لاأفعل حتى تعطونا، فقالوا: فإنا نعطيكم ثلاثين شاة. قال: فقرأت عليه ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ سبع مرات، فبرأ. فى رواية سليمان بن قتة عن أبى سعيد: فأفاق وبرأ فبعث إلينا بالنزل، وبعث إلينا بالشاء، فأكلنا الطعام أنا وأصحابى، وأبوا أن يأكلوا من الغنم، حتى أتينا رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر فقال: «وما يدريك أنها رقية؟» قلت: يا رسول الله، شيء ألقى فى روعى، قال: «كلوا وأطعمونا من الغنم». خرجه - يعنى الدارقطنى - فى كتاب السنن - وخرج فى

كتاب المدبج[١] من حديث السرى بن يحيى قال: حدثنى المعتمر بن سليمان عن ليث بن أبى سليم عن الحسن عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينفع بإذن الله تعالى من البرص والجنون والجذام والبطن والسل والحمى والنفس أن تكتب بزعفران أو بمشق – يعنى المغرة – أعوذ بكلمات الله التامة وأسمائه كلها عامة، من شر السامة والهامة[٢]، ومن شر العين اللامة، ومن شر حاسد إذا حسد، وذكر حديثاً طويلاً، وهو حديث منكر. ثم قال: وروى البخارى عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان ينفث على نفسه فى المرض الذى مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه رجاء بركتها، فسألت[٣] الزهرى: كيف كان ينفث قال: كان ينفث على يديه ويمسح بهما وجهه، وروى مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى قرأ على نفسه المعوذتين وتفل أو نفث، قال أبوبكر ابن الأنبارى: قال اللغويون تفسير نفث نفخ نفخاً ليس معه ريق، ومعنى تفل نفخ نفخاً معه ريق أ هـ كلام القرطبى.

* وقال ابن القيم فى زاد المعاد[٤] ما نصه: هديه ﷺ في رقية اللديغ بالفاتحة. وذكر حديث أبى سعيد الخدرى، وحديث «خير الدواء القرآن» ثم قال: ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة. فما الظن بكلام رب العالمين. الذى فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه، والذى هو الشفاء التام والعصمة النافعة والنور الهادى والرحمة العامة، والذى لو نزل على جبل لتصدع من عظمته وجلاله، قال

---

(١) بالباء المفتوحة المشدودة وبالجيم، من التدبيج نوع معروف فى مصطلح الحديث ووقع فى تفسير القرطبى ج ١٠ ص ٣١٦ س ١٥: المديح بالياء والحاء، وكتب المصحح تحته تعليقة جاء فيها: فى بعض الأصول المذبح، ولم نوفق لتصويبه وكلاهما خطأ، وتصويبه ما أثبتناه.

(٢) فى القرطبى ج ١٠ ص ٣١٦ س ١٩: «والغامة» وهو خطأ.

(٣) علق على هذه الكلمة مصحح تفسير القرطبى ج ١٠ ص ٣١٧ بما نصه: السائل هو عروة بن الزبير راوى الحديث. وهذا خطأ. والصواب أن السائل هو معمر تلميذ الزهرى.

(٤) ابن القيم: هو محمد بن أبى بكر بن سعد بن شريز الزرعى ثم الدمشقى الملقب بشمس الدين والمكنى بأبى عبدالله ولد فى ٧ صفر عام ٦٩١ كان رجلاً عالما وفاضلاً وكان ذا عبادة وتهجد وشغف بالمحبة والافتقار إلى الله والإنابة إليه.

– كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد: هو عبارة عن كتاب كبير يقع فى أربعة مجلدات ضخمة يتكلم فيه عن السيرة النبوية، وغزوات الرسول ﷺ مستدلاً على ذلك بالأحاديث النبوية وأعمال الرسول فيها.

تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] ومن ههنا لبيان الجنس لا للتبعيض. هذا أصح القولين أهـ.

* قلت: الصحيح أن الآية تدل على أن القرآن شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعويذ ونحوهما. هذا هو الذى يترجح من الآية، والدليل عليه أمور. **الأول**: أن القاعدة المقررة فى علم الأصول أن الكلام إذا احتمل التأكيد أو التأسيس فحمله على الثانى أرجح لأنه يفيد فائدة جديدة لم تكن فى حمله على التأكيد، وبهذه القاعدة يتعين حمل الآية هنا على الشفاء من الأمراض الظاهرة لأنه تأسيس لمعنى جديد بخلاف حملها على الشفاء من أمراض القلوب وريبها وجهلها فإنه تأكيد لما أفادته آيات أخرى من هذا المعنى.

الثانى: إن العطف يقتضى المغايرة، وعطف (رحمة) على شفاء يقتضى أن يبقى لفظ (شفاء) على ظاهره، لأن الرحمة معناها شفاء الأمراض الباطنة.

الثالث: أنه ثبت قطعياً أن النبى ﷺ استشفى بالقرآن، وأقر الصحابة على الاستشفاء به، وذلك لايدع مجالاً للشك فى حمل الآية على الشفاء من الأمراض الظاهرة.

الرابع: أن هذا المعنى ثبت عن أئمة التفسير كابن عباس ومجاهد وابن جرير وغيرهم.

الخامس: من المعلوم كما قال ابن القيم وغيره أن بع الكلام له خواص ومنافع مجربة فما الظن بكلام رب العالمين.

السادس: أنه إذا كان القرآن شفاء للأمراض الباطنة فما المانع أن يكون شفاءً للأمراض الظاهرة؟ وما الفرق بينهما!؟! وهل ورد عن الله ورسوله أن القرآن لايصلح دواءً إلا للأمراض الباطنة؟! وأن استعماله للأمراض الظاهرة لايجوز! بل الثابت عن الله ورسوله وعلماء الأمة أن القرآن شفاء للأمراض الظاهرة والباطنة الحسية والمعنوية.

السابع: ما أثبتته التجارب المتكررة فى قضايا متعددة - بعضها عن النبى ﷺ وبعضها عن الصحابة وبعضها عن التابعين وغيرهم - أنهم استعملوا القرآن دواء لأمراض ظاهرة كلدغ أو سم أو جنون أو بشرة أو غير ذلك، فنجع الدواء ووقع الشفاء ولاشك أن المجربات من القضايا اليقينيات كما تقرر فى علم المنطق.

* والإجماع منعقد على جواز التداوى بالقرآن الكريم: بل على استحبابه، منذ عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهلم جراً إلى أن فشت البدع. وظهر المبتدعة الذين سموا أنفسهم مصلحين(١)، أرادوا أن يصلحوا الدين ويهذبوه، ناسين أو متناسين أن الدين وضع إلهى نزل به الروح الأمين على سيد العالمين. لايمكن أن تمتد إليه يد أحد من البشر - كائناً من كان - بإصلاح أو تهذيب. بل الواجب الانقياد لما ثبت عن الله ورسوله، لايتمحل فى رده بتكلف تأويل، أو تعلل برأى حقير أو جليل، إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون.

ونحن نورد نصوصاً تثبت ما ذكرناه من الإجماع وتؤيده، ليعلم مبلغ إجرام ذلك المبتدع الذى زعم التداوى بالقرآن العظيم دجلاً وخرافات، قاتله الله ما أكثر جهله وأشد جرأته.

* قال الإمام مالك فى الموطأ(٢) عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبدالرحمن أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل على عائشة وهى تشتكى ويهودية ترقيها، فقال أبوبكر ارقيها بكتاب الله. قال الإمام أبوالوليد الباجى فى المنتقى: قول أبى بكر لليهودية ارقيها بكتاب الله، ظاهره أنه أراد التوراة لأن اليهودية فى الغالب لاتقرأ القرآن، ويحتمل والله أعلم أن يريد بذكر الله عز اسمه أو رقية موافقة لما فى كتاب

(١) وعلى هؤلاء ينطبق قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ الآية، فإن كثيراً من المفسرين حملوها على المنافقين ولكن الصحيح فى تفسيرها ما صح من طرق عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: لم يجئ أهل هذه الآية بعد، وفى رواية عنه: ما جاء هؤلاء. وهذا التفسير من قبيل المرفوع وهو ينطبق على هؤلاء المبتدعة تمام الانطباق، ولفظة الإصلاح هم الذين أطلقوها على آرائهم الفاسدة كما نحلوا زعماءهم لفظ المصلح، وقبل ظهور هذه الفئة لم يفكر أحد فى إصلاح الدين برأيه.

(٢) الإمام مالك هو أبوعبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر. ولد سنة ٩٥ هـ أجمعوا على إمامته فى الحديث، ونقده للرواه واستخراج الأحكام من الكتاب والسنة. وكان موضع تقدير العلماء والخلفاء. توفى سنة ١٧٩ هـ وله ٨٤ سنة ودفن بالبقيع. كتابه الموطأ تحرى فيه القوى من حديث أهل الحجاز، ومكث فى تاليفه أربعين سنة ينقصه ويهذبه وهو كتاب يشتمل على حديث رسول الله ﷺ - وأقول الصحابة وفتاوى التابعين وبلغت أحاديثه خمسمائة حديث ونيفاً والنيف من واحد إلى ثلاثة.

الله تعالى أهـ. قلت وإذا جاز الاسترقاء بالتوراة فجوازه بالقرآن أولى وأظهر كما هو ظاهر. **وقال الحافظ ابن كثير**: وروينا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله فى صحيفة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهماً عن طيب نفس منها فليشتر به عسلاً فليشربه كذلك فإنه شفاء. **قال ابن كثير**:(١) أى من وجوه قال الله تعالى﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الإسراء: ٨٢] وقال ﴿ **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا** ﴾ [ق: ٩] وقال ﴿ **فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا** ﴾ [النساء: ٤] وقال فى العسل ﴿ **فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ** ﴾ [النحل: ٦٩]. أهـ. وقال الباجى: كانت عائشة رضى الله عنها كثيرة الاسترقاء، قال مالك فى العتبية: بلغنى أنها كانت ترى البثرة الصغيرة فى يدها فتلح عليها بالتعويذ، فيقال لها: إنها صغيرة، فتقول: إن الله عز وجل يعظم ما يشاء من صغير ويصغر ما يشاء من عظيم أهـ. **وقال ابن القيم فى الكلام على علاج العين ودفع ضرر العائن، من زاد المعاد ما نصه**: ورأى جماعة من السلف أن تكتب له الآيات من القرآن، ثم يشربها، قال مجاهد: لابأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض، ومثله عن أبى قلابة، ويذكر عن ابن عباس: أنه أمر أن يكتب لامرأة تعسرت عليها ولادتها أثر من القرآن ثم يغسل وتسقى(٢) وقال أيوب: رأيت أبا قلابة كتب كتاباً من القرآن ثم غسله بماء وسقاه رجلاً كان به وجع أهـ. وقد علق عليه بعض جهلة المبتدعة يناقشه فى صحة هذه الآثار، وما درى أنها مسندة فى كتب لم يرها هذا المبتدع الجاهل، ولايمكنه أن يراها كمصنف ابن أبى شيبة ومسنده، ومصنف عبدالرزاق، وكتب ابن جرير، وكتب الخلال شيخ الحنابلة، وغيرها مما ينقل عنها ابن القيم، **وقال فى كتاب (الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى)**: ولو أحسن العبد التداوى بالفاتحة لرأى لها تأثيراً عجيباً فى الشفاء، ومكثت بمكة مدة تعترينى أدواء ولاأجد طبيباً ولادواء، فكنت أعالج نفسى بالفاتحة، فأرى لها تأثيراً عجيباً، فكنت أصف ذلك لمن يجد ألماً. وكان كثير منهم

---

(١) ابن كثير: هو الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير البصرى الدمشقى. كان عالماً وبخاصة فى التفسير والحديث والتاريخ ومن مؤلفاته البداية والنهاية - طبقات الشافعية شرح البخارى. توفى سنة ٧٧٤ هـ عن بضع وسبعين سنة.

(٢) رواه أحمد وغيره

يبرأ سريعاً. أهـ. **وقال القرطبى فى كتاب التذكار**(١) **فى باب الآداب التى تلزم حامل القرآن**: ومنها أن لايمحوه من اللوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء ويتوقى النجاسة من المواضع النجسة، والمواضع التى توطأ فإن لتلك الغسالة حرمة وكان من كان قبلنا من السلف منهم من يستشفى بغسالته وفى التنزيل ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء: ٨٢] وقال ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ [يونس: ٥٧] وأخبر ﷺ ان خاتمة القرآن معوذتان لم يتعوذ الناس بمثلهما،(٢) ورقى أبوسعيد الخدرى اللديغ بفاتحة الكتاب فبرأ وأعطوه قطيعاً من الغنم ثلاثين شاة(٣)، وفي الجملة أن الكلام مما يستشفي به. إلى أن قال: وقد جاء عن المتقدمين فى باب الاحترازات من المخاوف والاستشفاء من الامراض بآيات القرآن ما هو مذكور في غير هذا الموضع.. وأنهم انتفعوا بذلك فكان ذلك ادل دليل على أن القرآن من عند الله تعالى. ومنها إذا اغتسل بكتابته مستشفيا من سقم الا يصبه على كناسة ولا فى موضع نجاسة ولا على موضع يوطأ، ولكن فى ناحية من الأرض فى بقعة لا يطأها الناس، أو يجد حفرة فى موضع طاهر حتى يصب من جسده فى تلك الحفرة ثم يكبها أو نهر كبير يختلط بمائه فيجرى.. أ.هـ

* **وقال فى التفسير: روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ كان يكره الرقى إلا بالمعوذات، قال الطبرى: وهذا حديث لا يجوز الاحتجاج به في الدين إذ فى نقلته من لا يعرف، ولو كان صحيحًا لكان إما غلطًا وإما منسوخًا لقوله ﷺ فى الفاتحة «ما أدراك أنها رقية» وإذا جاز الرقى بالمعوذتين وهما سورتان من القرآن كانت الرقية بسائر**

---

(١) القرطبى هو أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح. الانصارى الخزرجى الاندلسى القرطبى المفسر. كان من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين الزاهدين فى الدنيا والمشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة. وكانت أوقاته فى العبادة والتصنيف، وما ينفع الناس وما ينفعه. ولد فى قرطبة عاصمة الأندلس. لم يحدد الرواة سنة ميلاده. ومن مؤلفاته: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة - الإعلام بما فى دين النصارى وإظهار محاسن الإسلام - شرح النقص وإلى غير ذلك من الكتب القيمة النافعة. كتابه التذكار فى أفضل الأذكار: كتاب يتحدث عن القرآن ويشير إلى فضائله وآثاره، وإلى فضل قارئه ومستمعه والعامل به وحرمته وكيفية تلاوته، ووجوب العمل به وموضوعه يدور حول أربعين حديثاً فى فضل القرآن.

(٢) سنن النسائى فى كتاب الاستعاذة فى أول الكتاب من حديث عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه.

(٣) البخارى - كتاب الطب - باب الرقى بفاتحة الكتاب.

القرآن مثلهما فى الجواز إذ كله قرآن. وروى عنه ﷺ أنه قال: « شفاء أمتى فى ثلاث آيات من كتاب الله أو لعقة من عسل أو شرطة من محجم » وقال رجاء الغنوى: من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء له. أ هـ.

* وروى الثعلبى عن الشعبى أن رجلاً شكا إليه وجه الخاصرة، فقال الشعبى عليك بأساس القرآن. قال وما أساس القرآن؟ قال: فاتحة الكتاب. وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية، فقال: لا بأس أن يرقى بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله. قلت: أيرقى أهل الكتاب المسلمين؟ قال: نعم إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله.. أ.هـ. نقله الحافظ ابن حجر فى فتح البارى. وقال ابن أبى الدنيا فى كتاب التوكل: حدثنا محمد بن إدريس ناموسى بن أيوب نا بقية عن زرعة بن عبدالله الزبيدى عن عبدالله بن كريز قال: كتب عامل إفريقية إلى عمر بن عبدالعزيز يشكو الهوام والعقارب، فكتب إليه وما على أحدكم إذا أصبح وإذا أمسى أن يقول ﴿ **وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [إبراهيم: ١٢].

* قلت هذا تعوذ وهو من جنس التداوى كما سبق، **وقال الحافظ ابن الجوزى فى مناقب الإمام أحمد**: الباب الرابع والعشرون فى ذكر تبركه واستشفائه بالقرآن وماء زمزم. أخبرنا محمد بن أبى منصور أنا عبدالقادر بن محمد أنا ابراهيم بن عمر البرمكى حدثنا عبدالرحمن بن أبى حاتم ثنا صالح ابن الإمام أحمد قال: كنت ربما اعتللت فيأخذ أبى قدحًا فيه ماء فيقرأ فيه ثم يقول: اشرب منه واغسل وجهك ويديك.

* **وقال ابن حزم فى المحلى**: مسألة والإجارة جائزة على تعليم القرآن وعلى تعليم العلم مشاهرة وجملة وكل ذلك جائز وعلى الرقى وعلى نسخ المصاحف ونسخ كتب العلم لأنه لم يأت فى النهى عن ذلك نص، بل قد جاءت الإباحة ثم أسند من طريق البخارى حديث ابن عباس فى رقية اللديغ بفاتحة الكتاب وقول النبى ﷺ: « إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » ثم حكى جواز ذلك كله عن مالك والشافعى وداود الظاهرى.

* وحكى عن أبى حنيفة والحسن بن حى أنه لا تجوز الإجارة على تعليم القرآن، وذكر أدلتهما ثم نقضها واحدا واحدا، وقال الإمام النووى فى شرح مسلم فى الكلام على حديث ابى سعيد الخدرى فى رقية اللديغ بالفاتحة ما نصه: « ما أدراك أنها رقية »

فيه التصريح بأنها رقية فيستحب أن يقرأ بها على اللديغ والمريض وسائر أصحاب العاهات والأسقام وقوله ﷺ: «خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم» هذا تصريح بجواز أخذ الأجر على الرقية بالفاتحة والذكر وأنها حلال لا كراهة فيها وكذا الأجرة على تعليم القرآن وهذا مذهب الشافعي ومالك وأحمد وإسحاق وأبي ثور وآخرين من السلف ومن بعدهم، ومنعها أبو حنيفة في تعليم القرآن وأجازها في الرقية، وأما قوله ﷺ: «واضربوا لي بسهم معكم». فإنما قاله تطييبا لقلوبهم ومبالغة في تعريفهم أنه حلال لا شبهة فيه أ هـ كلامه، وكذا قال المازرى وعياض والقرطبى والأبى في شروحهم على مسلم.

وقال الإمام أبوسليمان الخطابي: المنهى عنه من الرقى ما كان بغير لسان العرب فلا يدرى ما هو ولعله قد يدخله سحر أو كفر، فأما إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى فإنه مستحب متبرك به أ هـ ولا شك أن القرآن أفضل الأذكار.

* وقال الحافظ ابن كثير في الكلام على قوله تعالى –في سورة النحل– ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] ما نصه: وقال مجاهد وابن جرير في قوله: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ يعني القرآن، وهذا قول صحيح في نفسه، ولكن ليس هو الظاهر ههنا من سياق الآية، فإن الآية إنما ذكر فيها العسل ولم يتابع مجاهد على قوله ههنا، وإنما الذي قاله، ذكروه في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] أ هـ.

* وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري في الكلام على حديث أبي سعيد في الرقية بالفاتحة: في الحديث جواز الرقية بكتاب الله، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور، وأما الرقى بما سوى ذلك فليس في الحديث ما يثبته ولا ما ينفيه، وفيه الاجتهاد عند فقد النص وعظمة القرآن في صدور الصحابة خصوصا الفاتحة.. أهـ ملخصا.

* وقال أيضا: وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى. أهـ ثم ذكر أحاديث

صحيحة في جواز مطلق الرقى إذا لم يكن فيها شرك، راجعه فى كتاب الطب من فتح البارى.

* **وقال الإمام ابن التين فى شرح البخارى**: الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحانى إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسمانى وتلك الرقى المنهى عنها التى يستعملها المعزم وغيره ممن يدعون تسخير الجن له فيأتى بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم، ويقال إن الحية لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بنى آدم فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها، وكذا اللديغ إذا رقى بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصة وباللسان العربى الذى يعرف معناه ليكون بريئا من الشرك وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله علماء الأمة. أ هـ

وقال العلامة المحدث القاضى أبوعبدالله الشبلى الحنفى فى «آكام المرجان»: قدمنا أن عامة ما بأيدى الناس من العزائم والطلاسم والرقى لا تفقه بالعربية معناها ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى غير المفهومة لأنه مظنة الشرك وإن لم يعرف الراقى أنها شرك ومن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه، وفى الصحيح عن النبى ﷺ أنه رخص فى الرقى ما لم يكن شركا وقال: **«من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل»**. وفى التطبب والاستشفاء بكتاب الله عز وجل غنى تام، ومقنع عام، وهو النور والشفاء لما فى الصدور، والوفاء الدافع لكل محذور، والرحمة للمؤمين من الأحياء وأهل القبور، وفقنا الله لإدراك معانيه، وأوقفنا عند أوامره ونواهيه، ومن تدبر من آيات الكتاب، من ذوى الألباب، وقف على الدواء الشافى لكل داء موافى، سوى الموت الذى هو غاية كل حى، فإن الله تعالى يقول: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:٣٨].

وخواص الآيات والأذكار لا ينكرها إلا من عقيدته واهية، ولكن لا يعقلها إلا العالمون. أهـ

* وقال العلامة المحدث القسطلانى فى المواهب اللدنية: اعلم أن الله تعالى لم ينزل من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع فى إزالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصدأ القلوب جلاء كما قال تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ**

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢] ولفظة « من » كما قال الإمام فخر الدين ليست للتبعيض بل للجنس، والمعنى وننزل من هذا الجنس الذى هو القرآن شفاء من الأمراض الروحانية وشفاء أيضا من الأمراض الجسمانية أ هـ ثم بين ذلك بما يعلم من مراجعته فى الجزء الثانى من المواهب تحت ترجمة « النوع الأول فى طبه ﷺ بالأدوية الإلهية » وأغلبه ملخص من فتح البارى للحافظ ابن حجر، ونقل فى المواهب اللدنية وغيرها عن أبى القاسم القشيرى أن ولده مرض مرضا شديدا حتى أشرف على الموت، فاشتد عليه الأمر، قال : فرأيت النبى ﷺ فى المنام فشكوت إليه ما بولدى. . فقال: اين أنت من آيات الشفاء؟ فانتبهت فأفكرت فيها فإذا هى فى ستة مواضع من كتاب الله وهى قوله ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤] و﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [يونس:٥٧] و﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل:٦٩] و﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢] و﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠] و﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤].

فكتبتها ثم حللتها بالماء وسقيته إياها فكأنما نشط من عقال أ هـ وقال الشوكانى فى نيل الأوطار: فى الكلام على حديثى ابن عباس وأبى سعيد فى الرقية بفاتحة الكتاب ما نصه: وفى الحديثين دليل على جواز الرقية بكتاب الله تعالى، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما فى المأثور، وأما الرقى بغير ذلك فليس فى الأحاديث ما يثبته ولا ما ينفيه إلا ما سيأتى فى حديث خارجة اهـ. يريد قوله ﷺ لعم خارجة « خذها فلعمرى من أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق » قال الشوكانى: والرقى الباطلة المذمومة هى التى كلامها كفر، أو التى لا يعرف معناها كالطلاسم المجهولة المعنى أ هـ وقال الإمام ابن أبى زيد القيروانى فى الرسالة ما نصه: لا بأس بالرقى بكتاب الله وبالكلام الطيب أ هـ . قال العلامة ابن ناجى فى شرحه عليها: قال فى البيان: كره مالك الرقى بالحديد والملح وعقد الخيوط ، لأن الشفاء لا يكون إلا بكتاب الله وأسمائه وما يعرف من الذكر أ هـ. وقال ابن ناجى أيضا: الأصل فى جواز الاسترقاء قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢] وقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾ [ص:٢٩].

وكذا استدل العلامة الشيخ زروق فى شرح الرسالة على جواز الاسترقاء بالقرآن

بالآية الأولى، وبحديث أبى سعيد الخدرى فى رقية اللديغ بالفاتحة، ثم قال: وأما الكلام الطيب فهو العربى المفهوم المحتوى على ذكر الله، ورسوله والصالحين من عباده، لا الموهمات والمبهمات إذ حكى المازرى أن مالكًا سئل عن الأسماء المعجمة فقال: ما يدريك؟ لعلها كفر، وعلى هذا فالأصل المنع حتى يأتى المبيح وقال بعضهم الأصل خلاف ذلك حتى يتبين الباطل لأنه عليه السلام حين قال: «اعرضوا على رقاكم» فعرضوا ، فقال: «لا أرى بأسًا» الحديث. أ هـ ونصوص العلماء على جواز الإسترقاء بالقرآن بل على استحبابه، كثيرة يعسر تتبعها وإحصاؤها وذلك محل إجماع كما تقدم فى كلام الحافظ ابن حجر وغيره.. نعم اختلف العلماء فى النشرة -بضم النون- هى أن يكتب شىء من القرآن أو من أسماء ثم يغسل بالماء ثم يمسح به المريض جسمه أو بعضه، أو يشربه. قال الإمام المازرى: النشرة أمر معروف عند أهل التعزيم، وسميت بذلك لأنها تنشر عن صاحبها أى تحل، أ هـ فذهب جماعة إلى جوازها كما سبق فى كلام ابن القيم والقرطبى، وممن أجازها سعيد بن المسيب قيل له: الرجل يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه وينشر؟ قال: لا بأس به، وما ينفع لم ينه عنه، وكانت عائشة تقرأ بالمعوذتين فى إناء ثم تأمر أن يصب على المريض ، وعن مجاهد روايتان، فمرة قال: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض، ومرة: لم ير أن تكتب آيات من القرآن ثم تغسل ثم يسقاها صاحب الفزع.. وروى عبدالرزاق عن الشعبى قال: لا بأس بالنشرة العربية التى إذا وطئت لا تضره، وهى أن يخرج الإنسان فى موضع عضاه فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كلٍّ ثم يدقه ويقرأ فيه ثم يغتسل به، وكره الحسن النشرة ، ومنعها إبراهيم النخعى، قال الحسن: سألت أنسا فقال: ذكروا عن النبى ﷺ أنها من الشيطان ، وقد روى أبوداود عن جابر قال سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال: «من عمل الشيطان» قال الحافظ بن عبدالبر. هذه آثار لينة[١] ولها وجوه محتملة، وقد قيل : إن هذا محمول على ما إذا كانت خارجة عما فى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام، وعن المداواة المعروفة، والنشرة من جنس الطب فهى غسالة شىء له فضل، فهى كوضوء رسول الله ﷺ[٢] وقال رسول الله ﷺ : «لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ومن استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل» أ.هـ وقال الأبى فى شرح مسلم: واختلف فى النشرة -وهى أن يكتب شيئا من

(١) يعنى الآثار الواردة فى كراهة النشرة، ومعنى لينة أى أن فيها ضعفا خفيفا.

(٢) حين توضأ وصب فضل وضوءه على جابر إذ كان مريضا.

أسماء الله تعالى أو من القرآن الكريم ثم يغسله بالماء ثم يمسح به المريض أو يسقاه فأجازه ابن المسيب وسئل عن الرجل يعقد عن امرأته أيحل عنه وينشر؟ قال لا بأس به وما ينفع لم ينه عنه، وقال المازرى: النشرة أمر معروف عند أهل التعزيم وسميت بذلك لأنها تنشر عن صاحبها أى تحل ومنعها الحسن وقال هى من السحر.

* وفى أبى دواد عن جابر رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال: «هى من عمل الشيطان» وقال بعض العلماء: هذا محمول على أنها خارجة عن الكتاب والسنة وعن المداواة المعروفة، وإلا فالنشرة من جنس الطب. أ هـ وقال القاضى أبوعبدالله الشبلى الحنفى فى «آكام المرجان» : يجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيء من كتاب الله عز وجل ويغسل ويسقى له كما نص على ذلك الإمام أحمد وغيره، واحتج بما رواه بإسناده عن ابن عباس أنه كان يكتب لمن أصابها الطلق كلمات الكرب وآيتين من كتاب الله عز وجل تناسب الحال، يكتب لا إله إلا الله العظيم الحليم سبحان الله رب العرش العظيم ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ١].

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] أ هـ.

* وقال البخارى فى الصحيح : باب هل يستخرج السحر؟ وقال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه. أ هـ.

قال الحافظ ابن حجر فى شرحه: كذا أورد الترجمة بالاستفهام إشارة إلى الاختلاف ، وصدر بما نقله عن سعيد بن المسيب من الجواز إشارة إلى ترجيحه ، وأثر سعيد هذا وصله أبوبكر الأثرم فى كتاب السنن من طريق أبان العطار عن قتادة، ومثله من طريق هشام الدستوائى عن قتادة بلفظ يلتمس من يداويه، فقال: إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع.

*وأخرجه الطبرى فى التهذيب من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأساً إذا كان بالرجل سحر أن يمشى إلى من يطلق عنه! فقال: هو صلاح، وكان الحسن يكره ذلك يقول: لا يعمل ذلك إلا ساحر، قال فقال سعيد

بن المسيب : إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع، وقد أخرج أبوداود فى المراسيل عن الحسن رفعه « النشرة من عمل الشيطان » ووصله أحمد وأبوداود بسند حسن عن جابر. قال ابن الجوزى النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر، وقد سئل أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور فقال لا بأس به، وهذا هو المعتمد، ويجاب عن الحديث والأثر بأن قوله « النشرة من عمل الشيطان » إشارة إلى أصلها ويختلف الحكم بالقصد فمن قصد بها خيرا كان خيرا وإلا فهو شر ثم الحصر المنقول عن الحسن ليس على ظاهره لأنه قد ينحل بالرقى والأدعية والتعويذ ولكن يحتمل أن تكون النشرة نوعين. أ هـ كلام الحافظ. ثم قال بعد كلام وممن صرح بجواز النشرة المزنى صاحب الشافعى وأبوجعفر الطبرى وغيرهما. أ هـ(١)

* أما كتابة شيء من القرآن أو الأدعية وتعليقه على عنق الصحيح أو المريض للاستشفاء فجائز على الراجح، لما رواه أحمد والترمذى والنسائى والحاكم من طريق

---

(١) « فائدة » : أخرج عبدالرزاق عن الشعبى قال : لا بأس بالنشرة العربية التى إذا وطئت لا تضره، وهى أن يخرج الإنسان فى موضع عضاه فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل، ثم يدقه ويقرأ فيه ثم يغتسل به.

وذكر ابن بطال أن فى كتب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسى والقواقل، ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله . أ هـ.

وقال جعفر المستغفرى فى كتاب « الطب النبوى » وجدت بخط نصوح بن واصل على ظهر جزء من تفسير قتيبة بن أحمد البخارى: قال قتادة لسعيد بن المسيب : رجل به طب أخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس إنما يريد به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه، قال نصوح: فسألنى حماد بن شاكر: ما الحل؟ وما النشرة؟ فلم أعرفهما فقال: هو الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها فإن المبتلى بذلك يأخذ حزمة قضبان وفأسا ذا قطارين ويضعه فى وسط تلك الحزمة ثم يؤجج نارا فى تلك الحزمة حتى إذا ما حمى الفأس استخرجه من النار وبال على حره فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. وأما النشرة فإنه يجمع أيام الربيع ما قدر عليه من ورود المفازة وورود البساتين ثم يلقيها فى إناء نظيف ويجعل فيهما ماء عذبا ثم يغلى ذلك الورد فى الماء غليا يسيرا ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، قال حماد: تعلمت هاتين الفائدتين بالشام. أ هـ قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى: حماد هذا من رواة الصحيح عن البخارى. أ هـ قلت: هذا من الفوائد التى يرجع فيها إلى التجربة. ذكرناها تتميما للفائدة وبيانا لمعنى الحل والنشرة كما ذكره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى لذلك وظاهر جدا أن هذا لا تعلق له بموضوع التداوى بالقرآن الذى أفردنا له هذه الرسالة.

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بكلمات من الفزع «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه ومن عقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون». قال: فكان عبدالله بن عمرو. من بلغ من ولده علمهن إياه فقالهن عند نومه، ومن لم يبلغ منهم كتبها فعلقها في عنقه، حسنه الترمذى، وصححه الحاكم.

* **قال ابن أبي زيد في الرسالة**: ولا بأس بالمعاذة تعلق وفيها القرآن: أ هـ. **قال ابن ناجي في شرحها**: ظاهر كلام الشيخ أنه جائز للصحيح والمريض وهو كذلك بالنسبة للمريض باتفاق، وإلى الصحيح باختلاف على قولين، والذى أفتى به بعض من لقيناه من القرويين غير ما مرة أن ذلك جائز، **وقال التادلي**: في المسألة أقوال ثالثها يجوز للمريض دون الصحيح والحيوان ورابعها للآدمى دون الحيوان .أهـ. وقال زورق: المعاذة هى الحروز، وقد حصل ابن رشد فى جوازها، ومنعها أربعة أقوال مشهورها سماع أشهب جوازها مطلقا وتعلق على المريض والصحيح والجنب والحائض والنفساء والبهائم بعد جعلها فيما يكنها وثالثها الجواز للإنسان المريض فقط ورابعها جوازها له وإن لم يكن مريضا أ هـ(١).

* وقال القرطبى فى التفسير: قال مالك: لا بأس بتعليق الكتب التى فيها أسماء الله عز وجل على أعناق المرضى على وجه التبرك بها إذا لم يرد معلقها بتعليقها مدافعة العين، وعلى هذا القول جماعة أهل العلم، لا يجوز عندهم أن يعلق على الصحيح من البهائم أو بنى آدم شيء من العلائق خوف نزول العين، وكل ما يعلق بعد نزول البلاء من أسماء الله عز وجل، وكتابة رجاء الفرج والبرء من الله تعالى، فهو كالرقى المباح الذى وردت السنة بإباحته من العين وغيرها.

* وقد روى عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا فزع أحدكم فى نومه فليقل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وسوء عقابه ومن شر الشياطين وأن يحضرون» وكان عبدالله يعلمها ولده من أدرك منهم، ومن لم يدرك كتبها وعلقها عليه. وسئل ابن المسيب عن التعويذ أيعلق؟ فقال: إذا كان فى قصبة أو رقعة بحرز فلا بأس به، وهذا على أن المكتوب قرآن وعن الضحاك أنه لم يكن يرى بأسا أن يعلق الرجل الشيء من كتاب الله، إذا وضعه عند الجماع وعند الغائط. ورخص أبوجعفر

---

(١) واستدل شقيقنا الحافظ أبو الفيض فى شرح الرسالة بما رواه أبونعيم فى الطب عن عائشة قالت: لا بأس بتعليق التعويذ من القرآن قبل نزول البلاء وبعد نزول البلاء.

محمد بن على -يعنى الباقر عليه السلام- فى التعويذ يعلق على الصبيان [١] وكان ابن سيرين لا يرى بأسا بالشىء من القرآن يعلقه الإنسان. أ هـ

* وقال أيضا: فإن قيل: فقد روى أن رسول الله ﷺ قال: «من علق شيئا وكل إليه».

* ورأى ابن مسعود على أم ولده تميمة مربوطة فجبذها جبذا شديداً فقطعها وقال: إن آل ابن مسعود لأغنياء عن الشرك. ثم قال: إن التمائم والرقى والتولة من الشرك. قيل: ما التولة؟ قال: ما تحببت به المرأة لزوجها.

* وروى عن عقبة بن عامر الجهنى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا أودع الله له».

* قال الخليل ابن أحمد: التميمة قلادة فيها عوذ، والودعة خرز، وقال أبوعمر: التميمة فى كلام العرب القلادة، ومعناه عند أهل العلم ما علق فى الأعناق من القلائد خشية العين أو غيرها أن تنزل أو لا تنزل قبل أن تنزل، فلا أتم الله عليه صحته وعافيته، ومن تعلق ودعة - وهى مثلها فى المعنى- فلا أودع الله له، أى فلا بارك الله له ما هو فيه من العافية. والله أعلم. وهذا كله تحذير مما كان أهل الجاهلية يصنعونه من تعليق التمائم والقلائد، ويظنون انها تقيم وتصرف عنهم البلاء، وذلك لا يصرفه إلا الله عز وجل، وهو المعافى والمبتلى، لا شريك له. فنهاهم رسول الله عما كانوا يصنعون من ذلك فى جاهليتهم. وعن عائشة قالت: ما تعلق بعد نزول البلاء فليس من التمائم. وقد كره بعض أهل العلم تعليق التميمة على كل حال قبل نزول البلاء وبعده، والقول الأول أصح فى الأثر والنظر إن شاء الله تعالى.

* وما روى عن ابن مسعود يجوز أن يريد بما كره تعليقه غير القرآن اشياء مأخوذة عن العرافين[٢] والكهان، إذ الاستشفاء بالقرآن معلقا وغير معلق لا يكون شركا. وقوله عليه السلام «من علق شيئا وكل إليه» فمن علق القرآن ينبغى ان يتولاه الله ولا يكله إلى غيره، لأنه تعالى، هو المرغوب إليه والمتوكل عليه فى الاستشفاء بالقرآن. أهـ.

* قلت: لاشك أن من جعل تعليق معاذة فيها قرآن أو تعوذ مأثور مثل التمائم التى نهى النبى ﷺ فهو إن لم يكن كافرا قريب من الكفر عياذاً بالله تعالى، لأنه

---

(١) رواه ابن جرير عن يونس بن خباب عنه.

(٢) فى تفسير القرطبى ج١٠ ص٣٢٠ س١١: العراقيين وهو خطأ ظاهر.

سوى بين كلام الله ورسوله ، وبين شرك الجاهلية في الحكم، وذلك غاية الضلال ونهاية الخسران. وابن مسعود لم يقصد بفعله إلا تميمة الجاهلية **والدليل على ذلك أمران:**

الأول: ما ورد في سنن ابن ماجه أن التميمة التي قطعها ابن مسعود كانت عبارة عن خيط معقود وهذا هو ما كان يفعله أهل الجاهلية، يعلق أحدهم على عضده خيطا معقودا أو حلقة من صفر، أو نحو هذا، فلذلك قطعه ابن مسعود لأنه من عمل الجاهلية.

الثاني: ما رويناه فيما تقدم أن ابن مسعود حين رأى في عنق امرأة من أهله سيرا فيه تمائم قطعه ثم قال: لو أن إحداكن تدعو بماء فتنضحه في رأسها ووجهها ثم تقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١] والمعوذتين ، نفعها ذلك إن شاء الله. وفي حادثة أخرى مع إحدى نسائه قطع تميمة لها ثم قال لها: لو فعلت كما فعل رسول الله ﷺ كان خيرا لك وأجدر أن تشفي: أن تنضحي في عينيك الماء وتقولي: «أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما». فهذان الأثران صريحان في أنه كره تميمة الجاهلية، وحض على الاستشفاء بالوارد من القرآن والدعاء، وهذا ظاهر لمن تأمله بإنصاف والله ولي التوفيق.

التداوي بالقرآن الكريم ونحوه من الأدعية المأثورة:

من محاسن هذا الدين العظيم الذي جعله الله دين العالم كله، لأن من مزايا الإسلام التي لا توجد في غيره، أنه جمع بين الماديات والروحانيات وانتظم الحسيات والمعنويات فأعطى لكل جانب حقه، وأعد لكل حالة لبوسها، ولم يهمل واحدة من الطرفين، وإن كان يومئ في كثير من نصوصه إلى تغليب جانب الروحيات لأنها أشمل وأقوى، وأهم وأبقى ، فانظر كيف كان النبي ﷺ يتداوى بالأدوية المادية، ويصفها لغيره، ويقول: «تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد: الهرم».

* وكانت عائشة رضي الله عنها تحذق الطب لكثرة مزاولة الأدوية التي كان النبي ﷺ يستعملها في أمراضه ثم انظر كيف كان ﷺ يستعمل الأدوية الروحية فيعالج نفسه بالقرآن والدعاء وينفث في يده ويمر بها على ما تصل إليه من جسمه الشريف، وكذلك كان يعالج الحسن والحسين عليهما السلام، وأقر الصحابة الذين استعملوا القرآن دواء لبعض الأمراض الحسية، بل صوب فعلهم ، وقال: «حصنوا أموالكم

بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء الدعاء» وهو حديث صحيح، بل لقد بلغ حد الاستفاضة والشهرة(١) والتداوى بالصدقة علاج روحى، لا يقدر عليه إلا أسخياء النفوس أقوياء الإيمان. وهو استدرار لرحمة الله بالمريض، بالرحمة لبعض الفقراء من عباده المؤمنين، كما أن التداوى بالقرآن يتضمن الالتجاء إلى الله، فى كشف الضر عن المصاب والمريض، بكلامه الذى فيه سره، وفيه مظهر ربوبيته ورحمانيته. فالذى ينكر الدواء الروحى من أصله، أو ينكر التداوى بالقرآن وما فى معناه، مبتدع جاهل. لأنه أنكر ما ثبت عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة وأئمة المسلمين كما أنه جهل أسرار الشريعة وغفل عما تقصد إليه فى لفت الناس إلى هذا الجانب الروحى، من الحكم التى أهمها أن يكون بين العبد وبين خالقه صلة دائمة، تقوى يقينه، وتثبت إيمانه، وتملأ قلبه طمأنينة واستقرارا فلا يعتريه قنوط، ولا يخامره يأس، ولا تضجره المصائب والأمراض على كثرتها وشدتها، لاعتماده فى دفعها وتهوينها على من وسعت رحمته، وعمت نعمته، سبحانه وتعالى.

* وقد يزعم ذلك المبتدع ومن على شاكلته ممن ينكرون التداوى بالقرآن الكريم، أنه لم ينزل لهذا، وإنما نزل للهداية ومعالجة أمراض القلوب والنفوس ونقول -فى الجواب عن هذه الشبهة التى يتذرعون بها لإنكار ما ثبت عن رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين- إن الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه الكريم لحكم كثيرة، وفوائد عديدة، لا تكاد تنحصر.

- منها: إعجاز العالمين عن الإتيان بمثله، ليعلموا أنه من عند الله، وأن الذى جاء به رسول الله ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨] و﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [هود:١٣].
- ومنها: بيان الشرائع والأحكام التى كلف الله بها عباده فى العبادات من صلاة وزكاة وحج وغيرها، وفى المعاملات من نكاح وطلاق وبيوع وغيرها، وفى الحروب من جهاد للكفار وقتال البغاة والخارجين وما يلتحق بذلك من عقوبات أو تعزيرات، قال العلماء: فى القرآن من آيات الأحكام خمسمائة آية، أو ما يقرب منها. يعنون الآيات الصريحة أو الظاهرة التى يؤخذ منها بغير كبير فكر وإلا فأغلب آى القرآن يؤخذ منها حكم أو أكثر بطريق من طرق الاستنباط المبنية فى

(١) لشقيقنا الحافظ أبى الفيض رسالة «الزواجر المقلقة لمن أنكر التداوى بالصدقة» رد بها على بعض المبتدعة بالمغرب. ليس بين أيدينا الآن.

كتب الأحكام والأصول وقد أوضح جملة منها سلطان العلماء عز الدين ابن عبدالسلام ونقل كلامه الحافظ السيوطى فى مقدمة كتابه «الإكليل فى استنباط التنزيل».

– ومنها: التدبر فيه والتذكر به ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد: ٢٤]، و﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، و﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر: ١٧].

– ومنها الحكم بما فيه ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، وتحكيمه عند التنازع والتخاصم ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩]. الرد إلى الله هو الرجوع إلى كتابه والرد إلى الرسول ﷺ هو سؤاله فى حياته، والرجوع إلى سنته بعد وفاته. ورأيت رسالة فى تفسير هذه الآية للعلامة الولى الكبير أبى العباس السيد أحمد بن إدريس العرائشى المالكى.

– ومنها: الهداية لطريق الحق وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١–٢]، ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، والآيات فى هذا المعنى كثيرة.

– ومنها: الإنذار والبشارة، وإلانة قلوب المؤمنين –عند سماعه– لذكر الله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ١–٤]، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا

مُتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣].

- ومنها: تثبيت قلب النبى ﷺ به على وجه العموم، وبما فيه من قصص الأنبياء والرسل على وجه الخصوص ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢].

- ومنها: إقامة الحجة على مشركى العرب وغيرهم ممن لم يكن عندهم كتاب مثل التوراة والإنجيل، حتى لا يعتذروا بأنهم لم يأتهم كتاب من الله، ولولا أتاهم كما أتى من قبلهم لاهتدوا به واتبعوه ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٥٥ : ١٥٧].

- ومنها: بيان وحدانية الله تعالى، والدعاء إلى إفراده بالالوهية ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]، والآيات فى هذا المعنى كثيرة، بل أهم ما أرسل الله لأجله الرسل وأنزل له الكتب هو تقرير هذ المعنى وتوضيحه وإقامة البرهان عليه.

- ومنها : العظة والعبرة بما فيه من قصص الأنبياء والمرسلين ، وما جرى على قومهم من الهلاك والتبار حين كذبوهم ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١]. وقد يعرض ههنا سؤال فيقال: ما الحكمة فى تكرار قصص الأنبياء فى القرآن؟ فالجواب على ذلك من أوجه:

الأول: أنه ربما ذكر فى سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره فى سورة أخرى، ففى كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى.

الثانى: أنه ذكر أخبار الأنبياء فى مواضع على طريقة الإطناب وفى مواضع على طريقة الإيجاز، لتظهر فصاحة القرآن فى الطريقتين.

الثالث: أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد، فتعدد ذكرها بتعدد تلك المقاصد، فمن المقاصد بها إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من المهالك، وفيها إثبات النبوة للنبى ﷺ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ **مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا** ﴾ [هود: ٤٩]. ومنها إثبات الوحدانية، ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: ﴿ **فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ** ﴾ [هود: ١٠١]. ومنها الاعتبار فى قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر.. ومنها تسلية النبى ﷺ عن تكذيب قومه له بالتأسى بمن تقدم من الأنبياء.. كقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ** ﴾ [الأنعام: ٣٤]. ومنها تسليته عليه السلام ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله، ومنها تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم، إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء وردهم على الكفار وغير ذلك.. فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة ذكرت فى مواضع كثيرة، ولكل مقام مقال، ذكره ابن جزى فى تفسيره.

* **ثم يأتى سؤال آخر وهو: ما الحكمة فى أن قصة يوسف عليه السلام ذكرت كلها فى سورة واحدة، ولم تفرق فى عدة سور، كما أنها لم تتكرر؟** والجواب على ذلك أن نقول: أما ذكرها جملة واحدة فلأمرين.. أحدهما: يرجع إلى علم البلاغة، والثانى: يرجع إلى علم الأصول، **أما الأول** فإن قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** ﴾ [يوسف: ٤] يعتبر إجمالا للقصة، وما وقع بعد ذلك بين يوسف وإخوته تفصيل لمجمل ما انطوت عليه هذه الرؤيا، وتفسير لمغزاها، ألا ترى فى آخر القصة بعد أن اجتمع بأبويه وإخوته.. ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا؟ قال: ﴿ **يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي** ﴾ [يوسف: ١٠٠]. يشير بذلك إلى أن ما تقدم من الحوادث كان تمهيدا وتفصيلا لهذا التأويل، ومن مقتضيات البلاغة التى هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال أن الشئ إذا ذكر مجملا أوقع فى النفوس، وأدعى إلى تسكينها، فكذلك فى قصة يوسف، لما ذكرت الرؤيا مجملة تشوفت النفوس إلى معرفة تفسيرها، وتشوقت إلى إدراك سر أحد عشر كوكبا، والشمس والقمر، ومن المراد بهم؟، وكيف كان

سجودهم؟ فكان وقع تفصيل القصة بعد هذا الإجمال فى النفوس المتشوقة أعذب من الماء البارد فى اليوم القائظ لمن كان يهلكه الظمأ.

وأما الثانى: فإن الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف:٧] فأخبر تعالى بوقوع السؤال عن قصة يوسف وإخوته، والسائلون هم اليهود وأيا ما كان السائلون، فإن السؤال يقتضى أن تذكر القصة جملة واحدة، وليطابق الجواب السؤال، ولو فرقت القصة بان ذكر جزء منها فى هذا الموضع وجزء فى موضع آخر، لتأخر البيان عن وقت الحاجة، والمقرر فى علم الأصول أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

فلهاتين الحكمتين -والله أعلم- ذكرت قصة يوسف جملة واحدة، وهما مما فتح الله به علىّ وله الحمد. وأما عدم تكرارها فهو مبنى على ما قبله، وناشىء عنه، لأنه إذا كانت القصة ذكرت جملة واحدة بمقتضى الحكمتين اللتين أوضحناهما، فذكرها مرة ثانية لا يخلو إما أن يكون بالأسلوب الذى ذكرت به أولا، وهو تكرار خال من الفائدة وإما بأوجز منه وهو مخل بالفائدة، وإما بأكثر منه وهو زيادة على المقصود بلا فائدة، هذا ما ظهر لى والله أعلم بسر كتابه.

- ومنها -أى الحكم التى أنزل الله لأجلها القرآن- قراءته فى الصلاة ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل:٢٠] قال ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بأم القرآن» حديث صحيح بل هو مشهور مستفيض.

- ومنها: التعبد بتلاوته، وقد عرف العلماء القرآن بأنه: اللفظ المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه، المتعبد بتلاوته، وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل:٤] فهذا أمر بتلاوة القرآن والتثبت فيها. وقال ﷺ: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «آلم» حرف ولكن الف حرف، ولام حرف، وميم حرف» صححه الترمذى وغيره. والأحاديث فى فضل تلاوة القرآن كثيرة.

- ومنها: التداوى به ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢] وقد سبقت الأحاديث الكثيرة فى التداوى به من السم وغيره من الأمراض.

– ومنهـا : التبـرك به ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأنعام : ٩٢] ومن بركته أن قراءة سورة منه وآيات تطرد الشيطان عن القارئ بل عن بيته أيضا، كما ثبت عن النبى ﷺ فى قراءة سورة البقرة وفى خاتمتها، وفى آية الكرسى ، وكما ثبت عن النبى ﷺ أن قراءة سورة الكهف تعصم من فتنة الدجال(١) وانظر الأحاديث الواردة بذلك فى الجزء الأول من كتابنا « فضائل القرآن ».

* وهذه الحكم التى أوردناها لا تنافر بينها ولا تناقض، بل هى متداخلة متوافقة، وبيان ذلك أن استعمال القرآن دواء للأمراض الحسية، لا يمنع استعماله لأمراض القلوب ودفع الجهل والريب والشكوك عنها . . وتلاوته للتعبد والتبرك، لا تنافى العمل بما فيه من الأحكام والشرائع، وهكذا سائر الحكم تجدها متناسقة مترافقة آخذا بعضها بحجزة بعض، وانظر إلى النبى ﷺ : كان خلقه القرآن، كما قالت عائشة حين سئلت عن خلقه، أى أنه المظهر العملى التطبيقى لأوامر القرآن ونواهيه وآدابه . . فكان ﷺ متحليا بالقرآن حالا وعملا ومقالا، منفذا لأحكامه فى جميع شئونه فى عباداته ومعاملاته وغزواته مقيما لحدوده على من استوجبها لا يقبل فى إقامتها شفاعة شافع، ولا رجاوة مقرب، وكان إلى جانب هذا –يتحدى به المعاندين وينذر الكافرين ويبشر المؤمنين، ويتعبد بتلاوته فى الصلاة وخارجها ويعالج به نفسه وأهله من الأمراض العارضة، ويحاجج به ويناظر. وكذلك كان الصحابة والتابعون يستعملون القرآن أدواء لأمراضهم الحسية والمعنوية، ويحرصون على تنفيذ أحكامه، فيما يفعلون وفيما يذرون، فمن زعم –بعد هذا– أن استعمال القرآن فى ناحية من هذه النواحى –كالتداوى– يعطل استعماله فى ناحية أخرى، أو ينافيها يكذبه عمل النبى ﷺ وعمل الصحابة والتابعين. هذا إلى أن ذلك الزعم باطل من أصله لا يستند إلى شىء من قواعد العلم، ويشبهه فى البطلان والفساد استدلال بعض المتنطعين على أن القرآن لا يقرأ على الميت بقوله : ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى

---

(١) من جهل هذا المبتدع الذى نرد عليه أنه ينكر الدجال الذى تواترت الأحاديث به عن النبى ﷺ فى كتب السنة من الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم والأجزاء والمستخرجات وغيرها . . واجمع على القول به جميع أهل السنة لم يشذ عنهم فرد واحد . . بل بلغ من جرائه ووقاحته أنه أنكر الشيطان أيضا، وزعم أنه عبارة عن قوة الشر السارية فى الوجود سريان الأثير فى الجو !! وصادم بزعمه هذا صرائح النصوص التى تدمغه وترغم أنفه فى قصة آدم وما جرى من المحاورة والمراجعة بين الله وبين الشيطان وبين آدم وبين الشيطان مما يستحيل عقلا أن يقوم شىء منه بقوة الشر المزعومة.

الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٧٠] وهذا الاستدلال مع بطلانه ينبغى أن يدرج فى باب الطرف والمستملحات لانه لا علاقة البتة بين كون القرآن لإنذار الحى به، وبين قراءته على الميت تبركا أو ترحما، والمقصود أن قصر فائدة القرآن على حكمة من الحكم السابقة دون غيرها، قصور فى العقل وضيق فى التفكير، وتعطيل للحكم السامية التى قصدها الله من إنزال كتابه، فإذا أراد المسلمون النجاح والفلاح، ورغبوا فى العزة والكرامة، فليتخذوا القرآن شفاء لأمراضهم الحسية والمعنوية وليجعلوه مرشدهم فى الدين، ودليلهم فى الحياة ودستورهم فى الحكم وموجههم فى السياسة، إنهم إن فعلوا ذلك، استعادوا عزهم الغابر، واستردوا كرامتهم المسلوبة، وخافت منهم الأعداء، وخطب ودهم الأقوياء وكانوا -كما كان سلفهم الصالح- سادة الدنيا، وقادة الأمم وهداة العالم، ومحررى الشعوب، وحاملى لواء العلم والحضارة والحرية، لكن متى يتحقق ذلك؟ إنا لنرجو أن يكون قريبا وما ذلك على الله بعزيز.

خاتمة

تشتمل على مسألتين، «الأولى»: شرط التداوى بالقرآن وما فى معناه من الرقى والمعوذات أن يكون الشخص كامل الإيمان، قوى العزيمة، ثابت اليقين، صادق اللجوء إلى الله فبذلك يجد العلاج السريع، والدواء الناجع والشفاء التام، كما يرشد إلى ذلك قوله ﷺ لابن مسعود حين قرأ فى أذن مبتلى آخر سورة المؤمنون فأفاق: «لو أن موقنا قرأ بها على جبل لزال».

وقال ابن القيم فى كتاب «الجواب الكافى»، بعد أن ذكر حديث الرقية بفاتحة الكتاب: ولكن ههنا أمر ينبغى التفطن له، وهو أن الأذكار والآيات والأدعية التى يستشفى بها ويرقى بها، هى نفسها، وإن كانت نافعة شافية، لكن تستدعى قبول المحل، وقوة همة الفاعل وتأثيره. فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوى فيه، يمنع أن ينجح فيه الدواء كما يكون ذلك فى الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوى يمنع من اقتضائه أثره.. فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول، فكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام، وكان للراقى نفس فعّالة وهمة مؤثرة فى إزالة الداء. أ هـ وكذلك الدعاء ينفع فى دفع المكروه، وحصول المطلوب بالشرط السابق، مع تيقظ القلب وعدم غفلته، لقوله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه» رواه الحاكم فى المستدرك من حديث أبى هريرة، يضاف إلى ذلك اشتراط عدم أكل الحرام لقوله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [طه: ٨١] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟» رواه مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة.

الثانية: أشرت فى خطبة الكتاب إلى قصة الخضر عليه السلام ثم ظهر لى أن أفصلها هنا بعض التفصيل، فأقول: روى البخارى قصة الخضر فى مواضع من

صحيحه من عدة طرق فقال في كتاب العلم: باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر عليهما السلام وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦] حدثنا محمد بن غرير الزهرى قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنى أبى عن صالح عن ابن شهاب حدثه أن عبيد الله بن عبدالله أخبره عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس فى صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر، فمر بهما أبى بن كعب فدعاه ابن عباس فقال: إنى تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى الذى سأل موسى السبيل إلى لقيه، هل سمعت النبى ﷺ يذكر شأنه؟ قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما موسى فى ملأ من بنى إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ قال موسى: لا ، فأوحى الله إليه: بلى عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه فجعل الله له الحوت آية، وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه، وكان يتبع أثر الحوت فى البحر فقال لموسى فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، قال: ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا خضرا فكان من شأنهما الذى قص الله عز وجل فى كتابه» كذا ذكره فى هذا الباب مختصرا وأعاده مطولا فى «أحاديث الأنبياء» تحت ترجمة «باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام» حدثنا على بن عبدالله حدثنا سفيان -هو ابن عيينة- حدثنا عمرو بن دينار أخبرنى سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس إن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بنى إسرائيل، إنما هو موسى آخر.. فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبى بن كعب عن النبى ﷺ: «أن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه.. فقال له: بل لى عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال: أى رب ومن لى به؟ قال: تأخذ حوتا فتجعله فى مكتل حيثما فقدت الحوت فهو ثم.. وأخذ الحوت فجعله فى مكتل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما حتى إذا كان من الغد قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا.. ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله. قال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله فى البحر عجبا فكان للحوت سربا ولهما عجبا.

قال له موسى: ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا، رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم موسى فرد عليه فقال: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا. قال: يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه. قال: هل أتبعك؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبرا. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا .. إلى قوله: إمرا. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة كلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر. إذ أخذ الفأس فنزع لوحا فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحا بالقدوم فقال له موسى: ما صنعت؟ قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا؟ قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا. فكانت الأولى من موسى نسيانا فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا، فقال له موسى: أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا؟ قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟ قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض مائلا أوما بيده هكذا كأنه يمسح شيئا إلى فوق. قال: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا عمدت إلى حائطهم! لو شئت لاتخذت عليه أجرا. ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨] قال النبي ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما» قلت في الطريق الأول حصلت مماراة بين ابن عباس والحر بن قيس في صاحب موسى، هل هو الخضر أو غيره؟ والحر بن قيس صحابي مشهور، وفي الطريق الثاني حصل خلاف بين سعيد بن جبير وبين نوف البكالي في موسى هل هو موسى بن عمران أو موسى بن ميشا(١)

---

(١) في تفسير القرطبي ج١١ ص٩ س٤: منشا، وهو خطأ فقد ضبطه الحافظ ابن حجر في فتح الباري بالياء.

بكسر الميم وسكون التحتانية- ابن أفراثيم بن يوسف بن يعقوب وكان نبيا قبل موسى.

وروى البخارى فى الباب المذكور آنفا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «وإنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز من خلفه خضراء» ورواه أحمد وعبدالرزاق والترمذى وغيرهم، والفروة أرض بيضاء وقال البخارى فى كتاب التفسير باب قوله: «وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا» حدثنى الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال: أخبرنى سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالى(١) يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل. فقال ابن عباس: كذب عدو الله. حدثنى أبى بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم؟» وذكر الحديث بطوله، وقال باب قوله «فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا» حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرنى يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير يزيد أحدهما على صاحبه، وغيرهما قد سمعته يحدثه عن سعيد قال: إنا لعند ابن عباس فى بتيه إذ قال: سلونى. قلت: أى أبا عباس جعلنى الله فداك إن بالكوفة رجلا قاصا يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بنى إسرائيل أما عمرو فقال لى: قال قد كذب عدو الله. وأما يعلى فقال لى: قال ابن عباس حدثنى أبى بن كعب قال: قال رسول لله ﷺ وذكر الحديث نحو ما سبق، وقال أيضا: باب قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ [الكهف:٦٣] الخ . حدثنى قتيبة بن سعد حدثنى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس إن نوفا البكالى يزعم أن موسى نبى الله ليس بموسى الخضر، فقال: كذب عدو الله حدثنا أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «قام موسى خطيبا فى بنى إسرائيل فقيل له: أى الناس أعلم؟» الحديث.

وقال مسلم فى الصحيح : أحاديث قصة موسى مع الخضر عليهما السلام ، ثم

---

(١) نوف بفتح النون وسكون الواو والبكالى بكسر الباء وتخفيف الكاف قيل إنه ابن امرأة كعب الأحبار وقيل ابن أخيه وهو تابعى.

روى الحديث بعدة أسانيد عن ابن عباس عن أبى بن كعب، ورواه أبوداود والنسائى والترمذى وأشار الترمذى إلى تعدد طرقه، عن ابن عباس وذكر عن على بن المدينى أنه حج حجة وليس له همة إلا أن يسمع هذا الحديث من سفيان بن عيينة.

* وروى الترمذى وابن جرير وغيرهما عن ابن عباس عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ قال: «الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا». قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح أ هـ.

* وقد روى قصة الخضر أيضا الإمام أحمد وابن أبى حاتم وابن المنذر وابن جرير وعبد بن حميد وغيرهم.

وأفرد العلماء هذه القصة بالتأليف وتكلموا على ما يؤخذ منها من الفوائد الفقهية وغيرها كما تكلموا عن الخضر (١) وما يتعلق به فأسخن الله عين المبتدعة أعداء السنة، وأضلهم فى جهلهم فهم يعمهون وأعاذنا مما ابتلاهم به، إنه سميع قريب مجيب.

(١) تكلمت عليه فى سمير الصالحين ج٢.

البيان فى السحر

* السحر :

(تعريفه – دليله من القرآن والسنة – أنواعه – حقيقته – الفرق بين السحر والمعجزة – حرمة تعليمه – حرمة الذهاب إلى السحرة – حكم الساحر فى الشريعة الإسلامية – التوراة تحرم السحر – العلاج الربانى للسحر – الأسباب التى يندفع بها شر الساحر) .

* الحسد :

تعريفه – دليله من القرآن والسنة – آراء العلماء فيه وحقيقته – كيفية علاجه .

* الصرع :

تعريفه – دليله من القرآن والسنة .

* دعاء الصرف شر النفس والإنس والجان .

إعداد وتقديم

الأستاذ صفوت جودة أحمد

السحر

السحر فى اللغة:

قال الازهرى: السحر عمل تُقرب فيه الشيطان وبمعونة منه.

وقال أيضاً: أصل السحر صرف شيء عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما رأى الباطل فى صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه أى صرفه.

روى شمس عن ابن أبى عائشة قال: العرب إنها سمت السحر سحراً لأنه يزيل الصحة إلى المرض.

وقال ابن فارس: السحر إخراج الباطل فى صورة الحق.

وقال فى المعجم الوسيط: السحر ما لطف مأخذه ورق.

وقال فى محيط المحيط: السحر إخراج الشيء فى أحسن معارضه حتى يفتن.

السحر شرعاً:

قال فخر الدين الرازى: السحر فى عُرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته، ويجرى مجرى التمويه والخداع.

وقال ابن قدامة المقدسى: هو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يُعمل شيء يؤثر فى بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يُبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب بين اثنين.

وقال ابن القيم: هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة وانفعال القوى الطبيعية عنها.

وقال الشوكانى: السحر هو ما يفعله الساحر من الحيل والتخيلات التى يحصل بسببها للمسحور ما يتصل من الخواطر الفاسدة، الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب، فيظنه ماء، وقد اختلف، هل له حقيقة فذهبت المعتزلة وأبو حنيفة إلى أنه خدع لا

أصل له ولا حقيقة.

* والسحر - كما أثر عن القدماء من قبل موسى ومن بعده عبارة عن الحيل اللطيفة التى يحسن عملها من الناس من تكون لهم خفة يد، وسرعة حركة، وكلام مزخرف كحيل الحواة ومشركى خيال الظل والأراجوز وما شابه ذلك من الحيل التى لا يتقنها العوام ولا يعرفون أسرارها.

هذا هو السحر المعروف فى العالم على طول الزمان.

الأدلة على وجود السحر:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ - قال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٢ - ﴿ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) ﴾ [يونس: ٧٧].

٣ - ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢) ﴾ [يونس: ٨١، ٨٢].

٤ - ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) ﴾ [طه: ٦٧ - ٦٩].

٥ - ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ

(١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٢) ﴾ [الأعراف : ١١٧ – ١١٢].

٦ – ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴾ [سورة الفلق].

ثانياً : من السنة :

عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : « سحر رسول الله ﷺ رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفصل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم – أو ذات ليلة – وهو عندى لكنه دعا ودعا » ثم قال : « يا عائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه؟

أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل.

فقال : مطبوب.

قال : من طبه.

قال : لبيد بن الأعصم.

قال : فى أى شيء.

قال : فى مشط ومشاطه وجف طلع نخله ذكر.

قال : وأين هو؟

قال : فى بئر ذروان.

فأتاها رسول الله ﷺ فى ناس من أصحابه فجاء فقال : يا عائشة كأن ماءها نقاعه الحناء، وكأن رءوس نخلها رءوس الشياطين.

قلت : يا رسول الله أفلا استخرجته؟

قال : قد عافانى الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً.

فأمر بها فدفنت.

أنواع السحر :

١ - ما يعمل بأسباب طبيعية من خواص المادة معروفة للساحر، مجهولة عند من يسحرهم بها كالزئبق الذى قيل إن سحرة فرعون وضعوه فى حبالهم وعصيهم.

ولو ادعى علماء الطبيعة والكيمياء فى هذا العصر السحر فى أواسط أفريقيا وغيرها من البلاد التى يرون فيها السحر لأروهم العجب العجاب من غرائب الكهرباء وغيرها، حتى لو ادعوا فيها الألوهية لخضعوا لهم فضلاً عن النبوة والولاية.

٢ - الشعوذة التى ملاك أمرها خفة اليدين فى إخفاء بعض الأشياء، وإظهار بعض، وإراءة بعضها الآخر بغير صورها، وغير ذلك مما هو معروف فى هذه البلاد وغيرها من البلاد المتمدينة.

٣ - ما يكون مداره على تأثير الأنفس ذات الإرادة القوية فى الأنفس الضعيفة القابلة للأوهام والانفعالات، التى يسميها علماء النفس (بالأنفس الهستيرية)، وأصحاب هذا النوع يستعينون على أعمالهم بأرواح الشياطين، ومنهم من يكتب الأوفاق والطلسمات للحب والبغض إلى نحو ذلك.

ومن ذلك ما استحدث فى هذا العصر من التنويم المغناطيسى.

وعلى الجملة فالسحر صناعة تُتلقى بالتعليم، كما ثبت بنص الكتاب الكريم وبالاختبار الذى لم يبق فيه شك بين العلماء فى هذا العصر ا. هـ.

حقيقة السحر

قال القرطبى: ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة.

وذهب المعتزلة وأبو إسحاق الاسترابادى من أصحاب الشافعى إلى أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه وتخييل وإيهام لكون الشىء على ما هو به، وأنه ضرب من الخفة والشعوذة، كما هو تعالى: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) ﴾ [طه: ٦٦]، لم يقل على الحقيقة ولكن قال يخيل إليه.

وقال أيضاً: ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وهى ألا حجة فيه لأننا لا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر لكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها

العقل وورد بها السمع، فمن ذلك ما جاء فى هذه الآية من ذكر السحر وتعليمه، ولو لم يكن له حقيقة لم يُتمكن تعليمه ولا أخبر تعالى أنهم يعلمونه الناس فدل على أن له حقيقة.

وقوله تعالى فى قصة فرعون ﴿ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وسورة الفلق مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم وهو مما خرجه البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودى من يهود بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم الحديث.

وفيه أن النبى ﷺ قال لما حل السحر: «إن الله شفانى» والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض، فدل على أنه له حقاً وحقيقة فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه.

وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ولا عبرة من اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق.

ولقد شاع السحر وذاع فى سابق الزمان وتعلم الناس فيه ولم يبد من الصحابة ولا من التابعين إنكار لأصله.

وقال العلماء: لا ينكر أن يظهر على يد الساحر خرق العادات بما ليس فى مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو إلى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات البشر، قالوا: ولا يبعد فى السحر أن يستدق جسم الساحر حتى يتولج فى الكرات والخوخات، والانتصاب على رأس قصبة، والجرى على خيط مستدق والطيران فى الهواء والمشى على الماء وركوب كلب وغير ذلك، ومع ذلك فلا يكون السحر موجباً لذلك ولا علة لوقوعه ولا سبباً مولداً، ولا يكون الساحر مستقلاً به، وإنما يخلق الله تعالى هذه الأشياء ويحدثها عند وجود السحر كما يخلق الشبع عند الأكل، والرى عند الشرب.

* وروى سفيان عن عمار الذهبى أن ساحراً كان عند الوليد بن عقبة يمشى على الجعل، ويدخل فى است الحمار ويخرج من فيه، فاشتمل له جندب على السيف فقتله جندب - هذا هو جندب بن كعب الأزدى، ويقال الجبلى - وهو الذى قال فى حقه النبى ﷺ: «يكون فى أمتى رجل يقال له جندب يضربه ضربة بالسيف يفرق بين الحق والباطل، فكانوا يرونه جندباً هذا قاتل الساحر.

الفرق بين السحر والمعجزة

قال القرطبى: أجمع المسلمون على أنه ليس فى السحر ما يفعله الله عند إنزال الجراد والقمل، والضفادع، وفلق البحر، وقلب العصا وإحياء الموتى، وإنطاق الأعجمى.

وأمثال ذلك من عظيم آيات الرسل عليهم السلام.

وقال: قال علماؤنا: السحر يوجد من الساحر وغيره، وقد يكون جماعة يعرفونه ويمكنهم الإتيان به فى وقت واحد.

والمعجزة لا يمكن الله أحداً أن يأتى بمثلها ومعارضتها، ثم الساحر لم يدع النبوة فالذى يصور منه متميز عن المعجزة فإن المعجزة شرطها اقتران دعوة النبوة والتحدى بها.

حرمة تعليم السحر

* **ذهب جمهور أهل العلم** إلى حرمة تعلم السحر أو تعليمه لأن القرآن الكريم قد ذكره فى معرض العام، وبين أنه كفر فكيف يكون حلالاً؟

ونقل بعضهم وجوب تعلمه على المفتى حتى يعلم مالا يقتل به ومالا يقتل به فيفتى به فى وجوب القصاص.

* **وقال الألوسى**: وهذا غير صحيح: لأن إفتاء المفتى بوجوب القود أو عدمه لا يستلزم معرفته علم السحر لأن صورة إفتائه على ما ذكره العلامة ابن حجر - إن شهد عدلان عرفا السحر وتابا منه أن يقتل غالباً قتل الساحر وإلا لم يقتل.

* **وقال أبو حيان**: وأما حكم السحر، فما كان منه يعظم به خير الله من الكواكب والشياطين، وإضافة ما يحدثه الله إليها فهو كفر إجماعاً لا يحل تعلمه ولا العمل به، وكذا ما قصد بتعلمه سفك الدماء، والتفريق بين الزوجين والأصدقاء، وأما إذا كان لا يعلم منه شيء من ذلك، بل يحتمل فالظاهر أنه لا يحل تعلمه، ولا العمل به، وما كان من نوع التخييل، والدجل والشعوذة فلا ينبغى تعلمه لأنه من باب الباطل، وإن قصد به اللهو وتفريج الناس على خفة صنعته فيكره.

حرمة الذهاب إلى السحرة

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون

الجنة : مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر»(١).

فيحرم على المسلم أن يلجأ إلى السحر أو السحرة لعلاج مرض ابتلى به، أو حل مشكلة استعصت عليه، فهذا ما برئ رسول الله ﷺ.

قال ﷺ : «ليس منا متطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له»(٢).

ويقول ابن مسعود – رضى الله عنه –: «من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً فسأله فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»(٣).

فالحرمة هنا ليس على الساحر وحده، وإنما تشمل كل مؤمن مصدق بسحره مشجع له.

حكم الساحر فى الشريعة الإسلامية

عن بجالة بن عبده أنه قال: «أتانا كتاب عمر – رضى الله عنه – قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة»(٤).

أفتى الإمام أبو حنيفة مالك وأحمد بن حنبل وأكثر أهل العلم بقتل الساحر.

وروى عن الشافعى : لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحره. ويقول تعمدت القتل، وإن قال له أتعمد، لم يقتل؟! وكانت فيه الدية كقتل الخطأ، وإن أخذ به أدب على قدر الضرر.

قال ابن العزبى : وهذا باطل من وجهين:

أحدهما : أنه يعلم السحر، وحقيقته أنه كلام مؤلف يعظم به خبر الله تعالى، وتنسب إليه المقادير والكائنات.

الثانى : أن الله سبحانه قد صرح فى كتابه بأنه كفر، فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ بقول السحر ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ به وبتعليمه وهاروت وما روت يقولان: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وهذا تأكيد البيان.

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك والإمام أحمد بسند حسن.

(٢) رواه البزار بإسناد جيد من حديث عمران بن حصين.

(٣) رواه البزار وأبو يعلى بإسناد جيد موقوفاً.

(٤) رواه البخارى وغيره.

التوراة تحرم السحر

والتوراة قد حرمت السحر وبجوار النص على التحريم نصت على أن الله تعالى سيرسل نبيًا مثل موسى في يوم من الأيام ، مما يدل على الشبه القوى بين السحر والمعجزات .

ففي الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية : « متى دخلت الأرض التى يعطيك الرب الملك لا تتعلم ان تفعل مثل رجس أولئك الامم ، لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر، ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعه ولا من يستشير الموتى لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب، ويسبب هذه الأرجاس الرب الهك طاردهم من أمامك، تكون كاملا لدى الرب الهك أن هؤلاء الامم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين وأما أنت فلم يسمح لك الرب الهك هكذا . .

يقيم لك الرب إلهك نبيا[1] من وسطك . من اخواتك . مثلى . له تسمعون . .الخ

وتذكر التوراة في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج عقوبة الساحرة . وتبين بوضوح أن الساحرة تقتل، في هذا النص : « لا تدع ساحرة تعيش » [خروج٢٢ :١٨] وقوله في النص السابق : « لا يوجد فيك » دليل على تأثير البلاد من الساحر والساحرة .

تأثير الشياطين :

ومعروف أيضا في العالم عند جميع الامم : أن للشياطين تأثيرًا في حياة الناس، إما بالوسوسة في الصدور وإما بالظهور شخصيا لبعض الناس متشكلين بأى شكل من الأشكال وقد يعمل الشيطان على صورته الزوجية في الخفاء كعمل الإنسان من غير أن يراه أحد .

العلاج الرباني للسحر

إذا كان السحر تخييلات في الحس كما قال تعالى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا

(١) هذه النبوة تشير إلى نبى الإسلام ﷺ وهى المشار إليها في سورة الأعراف آية ١٥٧ .

تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٦٦].

وأوهاما فى العقل قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٠: ٦١]

وقال تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ [فاطر: ٨].

إذا كان ذلك كذلك فإن قراءة القرآن وقوة الإيمان علاج ناجح ودواء نافع.

قال صلى الله عليه وسلم : « خذوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها شرة ولا تستطيعها البطلة أى السحرة »

وقال : « إن البيت الذى تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان ».

وقال : « إن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه البقرة ».

وآيات الشفاء فى القرآن خير شاهد.

قال تعالى : ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٥]

وقال جل شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨]

وقال جل شأنه : ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٩].

وقال سبحانه : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وقال جل ذكره ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٤].

والضمير فى « هو » يراد به القرآن الكريم وتلاوته والعمل به.

قال ابن أبى الدنيا: حدثنا محمد بن الحسن حدثنى يحيى بن اسحاق البجلى وحاتم ابن أبى شوشرة حسن ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج قال: قال شيطانى : دخلت فيلا وأنا مثل الجزور وأنا فيك اليوم مثل العصفور.

قال: قلت: ولم ذاك؟

قال: تذبنى بكتاب الله عز وجل.

وقال محمد بن الحسين: حدثنى خلف بن تميم، حدثنا ابو الأخوص عن أبى إسحاق عن أبى الأخوص عن عبد الله قال: شيطان المؤمن مهزول، وقال محمد بن الحسين: حدثنى مجاحة بن ثابت ويحيى بن إسحاق قالا حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبى هريرة قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن يضنى شيطانه كما يضنى أحدكم بعيره فى السفر».

وقال إسحاق بن إسماعيل: حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبى خالد الوالبى قال: خرجت وافدا إلى عمر رحمه الله ومعى أهلى فنزلنا منزلا وأهلى خلفى فسمعت أصوات الغلمان وجلبتهم فرفعت صوتى بالقرآن، فسمعت وجبة شيء طرح، فسألتهم فقالوا: أخذتنا الشياطين فلعبت بنا فلما رفعت صوتك بالقرآن القونا وذهبوا.

الأسباب التى يندفع بها شر الساحر:

١ - تجريد التوبة إلى الله التى سلطت عليه أعداءه: فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

فلما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب اولاً يعلمه، ومالا يعلمه الصبر من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما علمه أضعاف ما يذكره.

ففى الدعاء المشهور: «اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم.

فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه فأسلط عليه مؤذ إلا بذنب.

فليس للعبد إذا بغى عليه وأوذى وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح والإقبال على الله تعالى والإخلاص له ومحبته والتقرب إليه.

٢ - **قراءة المعوذتين**: « قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ».

قال ﷺ: « ما يتعوذ المتعوذون بمثلهما ».

ولقد كان ﷺ يتعوذ بهما كل ليلة عند النوم، وأمر الصحابى عقبة بن عامر أن يقرأ بهما دبر كل صلاة.

* وروى الإمام مالك عن الزهرى عن عروة عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيده رجاء بركتها.

قال ابن القيم: إنه لا يستغنى عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيراً خاصاً فى دفع السحر والعين وسائر الشرور وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس.

٣ - **قراءة سورة البقرة**: روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران.. فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة.

قال معاوية بن سلام - أشد رواة الحديث - البطلة: السحرة.

* روى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة.

* روى الدارمى فى مسنده عن الشعبى قال: قال عبد الله: من قرأ عشر آيات من سورة البقرة فى ليلة لم تدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح أربعاً من أولها، وآية الكرسى، وآيتين بعدها، ثلاثة خواتيمها، أولها « لله ما فى السموات وما فى الأرض ».

وعن الشعبى عنه: لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شىء يكرهه ولا يقرآن على مجنون إلا أفاق.

٤ - **الاستعانة بالصبر والصلاة**: لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)﴾ [البقرة: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)﴾ [البقرة: ١٥٣].

٥ - **التوكل على الله تعالى**: فمن يتوكل على الله فهو حسبه والتوكل من أقوى الأسباب التى يدفع بها العبد مالا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب فى ذلك فإن الله حسبه أى كافيه، ومن كان الله كافيه ووافيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لابد منه، كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً.

٦ - **كثرة ذكر الله تعالى**: ومن فوائد الذكر التى ذكرها ابن القيم رحمه الله(١) أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، وأنه يرضى الرحمن عز وجل، ويزيل الهم والغم عن القلب، ويجلب للقلب الفرح والسرور ويقوى القلب والبدن وينور الوجه والقلب، ويحط الخطايا ويذهبها.

ومن فوائده أنه سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة وصفو الملائكة بالذاكر.

وأن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق، فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم، وله تأثير عجيب فى حصول الأمن، فليس للخائف الذى قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل.

الحسد فى القرآن الكريم

الحسد: انفعال نفسى إزاء نعمة الله على بعض عباده مع تمنى زوالها وسواء اتبع هذا الحاسد هذا الانفعال بسعى منه لإزالة النعمة تحت تأثير الحقد والغيظ أو وقف عند حد الانفعال النفسى فإن شراً يمكن أن يعقب هذا الانفعال(٢).

فكلمة حسد كما حكى الأزهرى عن ابن الأعرابى: أنها من الحسدل وهو القراد (حشرة تتطفل فى أجسام الكلاب وآذان الحمير)، ومنه أخذ الحسد لأنه يقشر القلب كما تقشر القراد الجلد فتمتص دمه(٣).

والحسد من أسوأ أحوال أهل الشر لأنه حقد يطفح من النفس لتزول نعمة الله من عباده.

---

(١) فى كتابه القيم «الوابل الصيب».

(٢) ظلال القرآن للشهيد سيد قطب جـ٦ ص ٤٠٠٨.

(٣) لسان العرب لابن منظور.

الأدلة من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦٨) ﴾ [يوسف: ٦٧، ٦٨].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين:

يقول الله تعالى إخباراً عن يعقوب عليه السلام إنه امر بنيه لما جهزهم مع أخيهم بنيامين إلى مصر ألا يدخلوا كلهم من باب واحد، وليدخلوا من أبواب متفرقة، فإنه كما قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد والضحاك وقتادة والسدى وغير واحد: إنه خشى عليهم العين وذلك أنهم كانوا ذوى جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء فخشى عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم فإن العين حق تستنزل الفارس عن فرسه.

وقوله: ما اغنى عنكم من الله من شيء أى أن هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاءه فإن الله إذا أراد شيئاً لا يخالف ولا يمانع.

ولما دخلوا من حيث أمرهم ابوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شيء إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها.

قالوا: هى دفع إصابة العين لهم.

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم: ٥١].

قال الحافظ ابن كثير: قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما:

ليزلقونك: لينفذونك. بأبصارهم أبى يعينونك بأبصارهم.

بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم، وفى هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حتى بأمر الله عز وجل، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة.

الأدلة من السنة النبوية:

* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « العين حق »(١).

(١) رواه البخارى ومسلم.

* عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «استعينوا بالله من العين فإن العين حق»(١).

– وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استغُسلتم فاغتسلوا»(٢).

ومعنى استُغسلتم: أى إذا طُلب من أحدكم أن يغتسل لأخيه المسلم لأنه أصابه بالعين فليلب طلبه وليغتسل له.

* وعن أسماء بنت عميس رضى الله عنها قالت: يارسول الله إن بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم. فقال: «نعم فلو كان شيء سابق القضاء لسبقته العين»(٣).

* وعن أبى ذر رضى ا لله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العين لتولع بالرجل بإذن الله حتى يصعد حالقًا فيتردى منه»(٤).

والمعنى: أن العين تصيب الرجل فتؤثر فيه حتى إنه ليصعد مكانًا مرتفعًا ثم يسقط من أعلاه من أثر العين.

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «العين حق تستنزل الخالق»(٥) أى تسقط من العالى.

* عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العين تدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القدر»(٦).

والمعنى: أن العين تصيب الرجل فتقتله فيموت ويدفن فى القبر.

وتصيب الجمل فيشرف على الموت فيُذبح ويُطبخ فى القدر.

* وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثر من يموت من أمتى بعد

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد والترمذى.

(٤) رواه أحمد وأبو يعلى.

(٥) رواه أحمد والطبرانى والحاكم.

(٦) رواه أبو نعيم فى الحلية.

قضاء الله وقدره بالعين»(١).

* عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يأمر أن أسترقى من العين(٢).

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال «رخص رسول الله ﷺ فى الرقية من العين والحمة والنملة(٣).

الحُمة: كل لدغة فيها سُم تلدغه الحية والعقرب وغيرهما.

النملة: قروح تخرج فى الجنب.

* عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لجارية فى بيتها رأى فى وجهها سفعة: «بها نظرة، استرقوا لها»(٤).

والسفعة: علامة من الشيطان، وقيل ضربة واحدة منه أى بقعة سوداء أو صفراء فى وجهها.

* وعن جابر رضى الله عنه قال: رخَّص رسول الله ﷺ لآل حزم فى رقية الحية وقال لأسماء بنت عُميس: ومالى أرى أجسام بنى أخى ضارعة - نحيفه - يصيبهم الحاجة؟.

قالت: لا. ولكن العين تسرع إليهم.

فقال: ارقيهم. فعرضت عليه فقال: «ارقيهم»(٥).

رأى العلماء فى الحسد وحقيقته:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: (العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (حقيقة العين نظر باستحسان مشوب بحسد من حيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر).

---

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخارى.

(٥) رواه مسلم.

وقال ابن الأثير رحمه الله تعالى: (يقال: أصابت فلانًا عين إذا نظر إليه عدو أو حسود فأثرت فيه فمرض بسببها).

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى: (فأبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين، وقالوا: إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل، ومن أغلظهم حجابًا وأكثفهم طباعًا، وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس، وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم، لا تدفع أمر العين، ولا تنكره، وإن اختلفوا في سببه وجهة تأثير العين.

ثم قال: (ولاريب أن الله سبحانه خلق في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة وجعل في كثير منها خواص وكيفيات مؤثرة ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح، في الأجسام، فإنه أمر مشاهد محسوس، وأنت ترى الوجه كيف يحمر حمرة شديدة إذا نظر إليه من يحتشمه ويستحي منه، ويصفر صفرة شديدة عند نظر من يخافه إليه، وقد شاهد الناس من يسقم من النظر وتضعف قواه، وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح ولشدة ارتباطها بالعين ينسب الفعل إليها، وليست هي الفاعلة، وإنما التأثير للروح، والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها وكيفيتها وخواصها، فروح الحاسد مؤذية أذى بينًا ولهذا أمر الله - سبحانه - رسوله أن يستعيذ به من شره، وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابات بالعين، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة وتقابل المحسود، فتؤثر فيه بتلك الخاصية وأشبه الأشياء بها الأفعى، فإن السم كامن فيها بالقوة فإذا قابلت عدوها انبعثت منها قوة غضبية، وتكيفت بكيفية خبيثة مؤذية، فمنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر في إسقاط الجنين، ومنها ما تؤثر في طمس البصر، كما قال النبي ﷺ في الأبتر وذى الطُّفيتين من الحيات: «إنهما يلتمسان البصر، ويسقطان الحبل».

والتأثير يكون تارة بالاتصال، وتارة بالمقابلة، وتارة بالرؤية، وتارة بتوجه الروح نحو من يؤثر فيه،وتارة بالأدعية والرقى والتعوذات، وتارة بالوهم والتخيل، ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أعمى فيوصل له الشيء فتؤثر نفسه فيه، وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية، وهي سهام تخرج من نفس العائن فتصيب المعين تارة وتخطئه تارة، فإن صادفته مكشوفًا

لا وقاية له أثرت فيه ولابد، وإن صادفته ستاراً شاكى السلاح لا منفذ فيه للسهام لم تؤثر فيه، وربما ردت السهام على صاحبها.

وأصله من إعجاب العائن بالشيء، ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة، ثم تستعين على تنفيذ سهمها بنظرة إلى المعين، وقد يعين الرجل نفسه، وقد يعين بغير إرادته!

كيفية علاج الحسد:

إذا عُرف العائن يؤمر بالاغتسال ثم يؤخذ الماء الذى اغتسل فيه ويصب على المحسود من خلفه فيبرأ بإذن الله.

- فعن أبى أمامة بن سهل بن حنيف قال: اغتسل أبو سهل بن حنيف بالخرار فنزع جُبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر إليه وكان سهل شديد البياض، حسن الجلد، فقال عامر: ما رأيت كاليوم ولا جله مخبأة عذراء فوعك فقيل له: ما يرفع رأسه فقال: هل تتهمون له أحداً! قالوا: عامر بن ربيعة فدعاه رسول الله ﷺ فتغيظ عليه فقال: «علام يقتل أحدكم أخاه! الا بركت، اغتسل له». فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخله إزاره فى قدم ثم صُب عليه من ورائه فبرأ سهل من ساعته.

واختلف فى داخلة الإزار فقيل: المراد موضعه من الجسد وقيل المراد: مذاكيره.

وقيل المراد: وركه، إذ هو معقد الإزار.

قال القاضى ابن العربى: الظاهر والأقوى بل الحق إنه ما يلى الجسد من الإزار.

الصرع

الصرع: عبارة عن اختلال يصيب الإنسان فى عقله بحيث لا يعى المصاب ما يقول، فلا يستطيع أن يربط بين ما قاله وما سيقوله كما يقال فى عصرنا أو يعبر عنه (بفقدان الذاكرة) وذلك يحدث نتيجة اختلال فى أعصاب المخ ويصاحب هذا الاختلال فى العقل اختلال فى حركات المصروع وتصرفاته، فلا يستطيع أن يتحكم فى سيره أو فى تقدير التحركات، ويصبح المصروع متخبطًا فى أقواله وأفعاله وأفكاره.

يقول ابن حجر فى الصرع: هى علة تمنع الأعضاء الرئيسية من انفعالها منعًا غير تام، وسببه ريح غليظة تنجس فى منافذ الدماغ أو بخار ردىء يرتفع إليه من بعض الأعضاء وقد يتبعه تشنج فى الأعضاء فلا يبقى الشخص معه منتصبًا بل يسقط ويقذف بالزبد لغلظ الرطوبة، وقد يكون الصرع من الجن، ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم إما لاستحسان بعض الصور الإنسية وإما لإيقاع الأذى به.

والأول هو الذى يثبته الأطباء ويذكرون علاجه والثانى يجحده كثير منهم. وبعضهم يثبته ولا يعرف له علاجًا إلا بمقاومة الأرواح الخيرية العلوية لتندفع آثار الأرواح الشريرة السفلية وتبطل أفعالها.

الأدلة على حدوث الصرع:

من القرآن الكريم:

قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾** [البقرة: ٢٧٥].

قال الإمام القرطبى: فى هذه الآية دليل على فساد من أنكر الصرع من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لايسلك فى الإنسان ولا يكون منه مس.

وقال الإمام الطبرى فى تفسير هذه الآية (...حدثنى بشر قال:حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة أن ربا الجاهلية: يبيع إلى أجل مسمى، فإذا وصل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأُخر عنه. فقال جل ثناؤه للذين يربون الربا الذى

وصفنا صفته فى الدنيا، لا يقومون فى الآخرة من قبورهم، إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس، يعنى بذلك يتخبله الشيطان فى الدنيا فيصرعه من المس، يعنى من الجنون.

قال الحافظ ابن كثير فى هذه الآية: «أى لا يقومون إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً».

وقال الألوسى: «إن الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا قياماً كقيام المصروع من الدنيا، والتخبط تفعّل بمعنى فعل وأجله ضرب متوالٍ على انحاء مختلفة وقوله تعالى (من المس..) أى الجنون، يقال: مُس الرجل فهو ممسوس إذا جُن، وأصله اللمس باليد وسُمى به لأن الشيطان قد يمس الرجل، وأخلاطه مستعدة للفساد فيفسد ويحدث الجنون».

من السنة النبوية:

* عن مطر بن عبد الرحمن الأعنق قال: حدثتنى أم إبان بنت الوازع بن زراع بن عامر العبدى عن أبيها أن جدها الزراع انطلق إلى رسول الله ﷺ بابن له مجنون – أو ابن أخت له – قال جدى: فلما قدمنا إلى رسول الله ﷺ المدينة قلت: يا رسول الله: إن معى ابنا لى – أو ابن أخت لى – مجنوناً أتيتك به، فتدعو الله عز وجل قال: «ائتنى به».

فانطلقت إليه وهو فى الركاب، فأطلقت عنه، وألقيت عنه ثياب السفر وألبسته ثوبين حسنين وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ﷺ فقال: «ادنه منى واجعل ظهره مما يلينى»، قال فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله، فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه، ويقول: اخرج عدو الله، اخرج عدو الله.

فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه فدعا له، فمسح وجهه، فلم يكن فى الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه.

* عن يعلى بن مرة قال: رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثاً ما رآها أحد قلى ولا يراها أحد بعدى: لقد خرجت فى سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة، معها صبى لها. فقالت: يا رسول الله هذا صبى أصابه بلاء، وأصابنا منه بلاء، يؤخذ فى اليوم ما أدرى كم مرة، قال: «ناولنيه، فرفعته إليه، فجعلته بينه وبين

واسطة الرجل ثم فغرفاه فنفث فيه ثلاثًا، قال: «باسم الله أنا عبد الله، اخسأ عدو الله».

ثم ناولها إياه فقال: «ألفينا في الرجعة في هذا المكان فأخبرينا ما فعل» قال: فذهبنا ورجعنا، فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث. فقال: «ما فعل صبيك؟».

فقالت: والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئًا حتى الساعة واجتزر هذه الغنم.

قال: «انزل خذ منها واحدة ورُدّ البقية.. وذكر الحديث بطوله..»(١).

* عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟

قلت: بلى.

قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي.

قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك».

فقالت: اصبر.

فقالت: إني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف.

فدعا لها (متفق عليه).

وهذه المرأة اسمها (أم زفر) كما روى ذلك البخاري في صحيحه عن عطاء. والظاهر أن الصرع الثاني الذي كان بهذه المرأة كان من الجن.

* عن صفية بنت حُيي رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» (متفق عليه).

استدل بعض العلماء بهذا الحديث على استطاعة الشيطان النفاذ في داخل الإنسان وبه استدلوا على إمكان وقوع الصرع.

---

(١) قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين. والطبراني بنحوه وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح. وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي.

دعاء الصرف

شر النفس والإنس والجان

اللهم إني أدعوك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأكبر الأكرم الأعظم الأحب إليك الذى إذا سُئلت به أعطيت وإذا دُعيت به أجبت وإذا استُفرجت به فرجت، وإذا استُرحمت به رحمت، وإذا استنُصرت به نصرت، وإذا استُغفرت به غفرت، وإذا استُهديت به هديت، وإذا استشفيت، اللهم اصرف عنا شر النفس والإنس والجان، واخلع علينا خلقة الرضوان وحببْ لنا حقيقة الإيمان، وتولنا بعنايتك ورعايتك وحفظك يا رحيم يا رحمن، آمنت بالله العظيم وحده وكفرت بالجبن والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى، لا انفصام لها، والله سميع عليم.

اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأراضين وما أقللن، ورب الرياح وما ذرين، ورب البحار وما جرين، ورب الشياطين وما أضللن.. كن لى جاراً من شر خلقك كلهم أجمعين أن يفرط أو أن يطغي علينا أحد منهم، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

منفلوط

فى يوم الجمعة المبارك

٣٠ جمادى الأولى

١٠ سبتمبر ١٩٩٩م

صفوت جودة أحمد

فهرسة الكتاب